الآيات والسور التي فرح النبي صلى الله عليه وسلم بنزولها
- جمعٌ وعرض -

إعداد
د. أحمد بن سليمان بن صالح الخضير
الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بجامعة القصيم

ملخص البحث

أهداف البحث:

١ - إبراز أسباب فرح النبي صلىٰ الله عليه وسلم من ذلك النزول القرآني.

٢-دراسة هذه الأسباب وتمييز الصحيح من الضعيف.

منهج البحث: قام الباحث باستقراء وتتبع ما ورد من أسباب النزول حول البحث من المصادر المعتمدة في ذلك، ثم قسم البحث إلىٰ مباحث بعد الآيات والسور في ذلك، ثم في نهاية كل مبحث يختم يذكر الباحث النتيجة بعد الدراسة والعلاقة بين المبحث وسبب النزول.

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث: هي بيان الأسباب الصحيحة والضعيفة في ذلك بعد دراسة وتحليل.

الكلمات ذات الدلالة: (الآيات – السور – فرح – النزول).

* * *

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن القرآن كلام الله عز وجل، وحبله المتين، والصراط المستقيم، الذي تكفل الله بحفظه عن غيره من الكتب السماوية، فنزله سبحانه تبياناً لكل شيء.

تنوعت علومه ومعارفه، وتغايرت أساليبه وتراكيبه، فأعجز به أساطين البلاغة وفطاحلة اللغة، ولقد عكف علماء المسلمين عليه دراسة وبياناً واستنباطاً، ومع ذلك فقط ظل معيناً لا ينضب وزاداً لا ينفد.

وكان لنزول القرآن منجماً ومفرقاً علىٰ مدىٰ ثلاثة وعشرين سنة أثر علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم وبشارة ونذارة له ولأمته.

ولقد كان النزول القرآني إما أن يكون ابتداءً من غير سبب، وهو الكثير الأعظم، وإما أن يكون لسبب، وكان من ضمن ذلك النزول القرآني آيات يفرح بها النبي صلىٰ الله عليه وسلم كثيراً، ويظهر ذلك علىٰ وجهه الطاهر صلىٰ الله عليه وسلم.

فلما وقفت علىٰ بعض المواضع من ذلك رأيت أن أجمع ذلك وأكتب فيه بحثاً مستقلاً، وسميته:

"الآيات والسور التي فرح النبي صلىٰ الله عليه وسلم بنزولها– جمع وعرض".

سائلاً الله عز وجل التوفيق والسداد.

مشكلة البحث:

من الآيات والسور ما نزل علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ابتداءً، ومنها ما نزل لسبب، وكان من ضمن ذلك النزول ما يتناقله المفسرون في تفاسيرهم من فرح النبي صلىٰ الله عليه وسلم بنزول بعض الآيات والسور؛ ومن هنا ظهرت الحاجة إلىٰ حصر تلك المواضع ودراستها؛ ولم توجد دراسة مستقلة تعنىٰ بهذا النوع من النزول القرآني علىٰ وجه الخصوص تسلط الضوء علىٰ سبب فرح النبي صلىٰ الله عليه وسلم بذلك النزول، وما الثابت من ذلك؟.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الآتي:

١. تبرز أهمية البحث بتعلقه بموضوع مهم من موضوعات علوم القرآن، وهو علم أسباب نزول القرآن الكريم.

٢. أن العلم بالآيات والسور التي فرح النبي صلىٰ الله عليه وسلم بنزولها مسلك لفهم معنىٰ القرآن الكريم.

٣. الحاجة إلىٰ دراسة هذا النوع من أسباب النزول القرآني لمعرفة الصحيح من الضعيف.

٤. معرفة العدد الثابت من ذلك النوع من النزول القرآني.

٥. تمييز هذا النوع من النزول من حيث المرفوع منه، والموقوف، وما ورد عن المفسرين.

أهداف البحث:

١. تمييز النزول الذي أفرح النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن غيره ممن عاصروا النزول.

٢. إبراز أسباب فرح النبي صلىٰ الله عليه وسلم من ذلك النزول القرآني.

الدراسات السابقة:

من خلال الاستقراء والتتبع والبحث في مظان ذلك الموضوع، أقصد أسباب النزول لم أر من كتب حوله، أو قام بجمع مثل هذه المواطن في مؤلف واحد، فلما كان ذلك كذلك رأيت أن أجمعه مستعيناً بالله سبحانه.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، واثني عشر مبحثاً، وخاتمة وفهارس.

المقدمة: وفيها تناولت أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة.

التمهيد، وفيه:

أولاً: أهمية أسباب النزول.

ثانياً: تعريف أسباب النزول.

ثالثـًا: تعريف الفرح في القرآن الكريم.

المبحث الأول: الأسباب التي جعلت النبي صلىٰ الله عليه وسلم يفرح بنزول الآيات والسور.

المبحث الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ ﴾ [سورة الحج].

المبحث الثالث: قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ ﴾ [سورة النور].

المبحث الرابع: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٢٠ ﴾ [سورة النور].

المبحث الخامس: قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ ﴾ [سورة الفرقان].

المبحث السادس: قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧ ﴾ [سورة الأحزاب].

المبحث السابع: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ [سورة الفتح].

المبحث الثامن: قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة المجادلة].

المبحث التاسع: قوله تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة التكوير].

المبحث العاشر: قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [سورة الشرح].

المبحث الحادي عشر: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [سورة التين].

المبحث الثاني عشر: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [سورة الكوثر].

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشتمل علىٰ فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث:

يعتمد البحث علىٰ المنهج الاستقرائي التحليلي.

إجراءات البحث:

أولاً: قمت باستقراء وتتبع ما ورد من أسباب النزول حول البحث.

ثانيـًا: جمعت المادة العلمية من المصادر المعتمدة في أسباب النزول قديمـًا وحديثـًا.

ثالثـًا: صدرت البحث بكتابة الآية الكريمة التي تضمنها سبب النزول معتمداً في ذلك الرسم العثماني.

رابعـًا: قمت بعزو الآيات الكريمة إلىٰ مواضعها في المصحف.

خامسـًا: قمت بترتيب الآيات والسور حسب ورودها في المصحف.

سادسـًا: ذكرت بعد ذلك سبب النزول الذي اعتمدته والذي يحتوي علىٰ موضع الشاهد في البحث.

سابعـًا: قمت بذكر ما ورد من أسباب النزول للآية أو الآيات.

ثامنـًا: قمت بدراسة أسباب النزول وخرجتها من مواطنها الأصلية.

تاسعـًا: إذا كان الأثر في غير الصحيحين فإني أقوم بدراسته ببيان صحيحه وضعيفه معتمداً في ذلك علىٰ الكتب المعتمدة في الجرح والتعديل.

عاشراً: بعد دراستي لأسباب النزول أقوم بذكر الصحيح من أسباب النزول حول الآية أو الآيات.

الحادي عشر: ذكرت بعض المقدمات حول الآية أو الآيات.

الثاني عشر: ذكرت بعض المسائل التي يكثر العلماء الكلام حولها في الآية أو الآيات.

❊ ❊ ❊

التمهيد:

أولاً: أهمية أسباب النزول وفوائد معرفته.

يكثر السؤال عند أي فن وعلم، وهو: ما الفائدة المرجوة من هذا العلم، وما الثمرة التي يمكن قطفها من خلال معرفة أسباب النزول؟ ولقد أجاب الزركشي في كتابه البرهان عن هذا السؤال فقال: "وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرىٰ التاريخ، وليس كذلك بل له فوائد"[(١)].

ولذا أقول: إن مما يبين بعضاً من أهمية أسباب النزول ما يلي:

١ – إنه يبين وجه الحكمة الباعثة علىٰ التشريع؛ إذ من المعلوم أنه ما من حكم سنّه الله عز وجل في كتابه أو علىٰ لسان نبيه محمد صلىٰ الله عليه وسلم إلا وهو علىٰ غاية من الحكمة البالغة، والأسرار الباهرة التي جاء النص ليراعيها، والعلم بهذه الحكم والأسرار مما يزيد إيمان المؤمن ويقويه.

٢ – ليس يخفىٰ علىٰ كل منصف أن العلم بأسباب النزول يساعد علىٰ فهم النص القرآني فهماً عميقاً، ويزيل الإشكال الناشئ من الفهم غير الموفق لظاهر النص القرآني.

٣ – إنه يدفع توهم أن يكون النص قد حصر الحكم في الأفراد التي ذكرها، بمعنىٰ أنه يكشف للباحث خطأ تخصيص الحكم الذي حمله النص القرآني بالأشياء التي أوردها دون غيرها.

٤ –أن توقف نزول بعض القرآن علىٰ حوادث ووقائع يجعل من القرآن نصوصاً حية يحتاج إليها الناس كلما تكررت الحوادث والوقائع، وهو ما يكرس وجود القرآن في المجتمع، ويبعث علىٰ الشعور بالحاجة إليه في دنيا الناس.

٥ –أن أسباب النزول تكشف لنا الظرفين الزماني والمكاني اللذين أنزلت فيهما الآيات القرآنية.

٦ – أن أسباب النزول تبين الحالة النفسية والفكرية والاجتماعية التي كان عليها

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٢).

الذين أنزلت عليهم الآيات[1].

ثانياً: تعريف أسباب النزول:

أسباب النزول مركب إضافي يتكون من كلمتين (أسباب) و(النزول).

فمعنىٰ الأسباب في اللغة:

الأسباب: جمع سبب، وهو كل ما يتوصل به إلىٰ غيره، والسبب الحبل والطريق والباب، قال الأزهري: "الأسباب المنازل، وقيل: المودة، وقوله تعالىٰ: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧]، هي أبوابها، واحدها سبب، وأما قوله: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥]، فالسبب الحبل في هذا الموضع، قال أبو عبيدة: السبب كل حبل حدرته من فوق، وقال خالد بن جنبه: السبب من الحبال القوي الطويل، قال: ولا يدعىٰ الحبل سبباً حتىٰ يصعد به وينحدر به"[2].

وقال ابن منظور: "السبب كل ما يتوصل به إلىٰ غيره، وفي نسخة كل شيء يتوسل به إلىٰ شيء غيره، وقد تسبب إليه، والجمع أسباب، وكل شيء يتوصل به إلىٰ الشيء فهو سبب، وجعلت فلاناً سبباً إلىٰ فلان في حاجتي، وودَجَاً أي وصلة وذريعة"[3].

هذا بالنسبة للمعنىٰ اللغوي لـ(الأسباب)، أما المعنىٰ اللغوي لـ(النزول)، فالنزول لغة: مصدر للفعل نزل، ويعني الحلول.

قال ابن فارس: "النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل علىٰ هبوط شيء ووقوعه، ونزل عن دابته نزولاً، ونزل المطر من السماء نزولاً، والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر"[4].

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٢)، الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١/ ١٠٧)، مناهل العرفان، للزرقاني (١/ ١٠٢)، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، د.عماد الدين الرشيد (ص٢١)، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، لعبدالرحمن حسن الميداني (ص٥٣)، المحرر في أسباب نزول القرآن، للدكتور خالد المزيني (١/ ١٩).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٢٠)، مادة "سبب".

(٣) انظر: لسان العرب (١/ ٥٣٢)، مادة "سبب".

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/ ٤١٧)، مادة "نزل".

وقال ابن منظور: "النزول الحلول، وقد نَزَلهم ونَزَل عليهم ونزل بهم، ينزل نُزُولاً ومَنْزَلاً ومَنْزِلاً بالكسر شاذ، والنُّزُول: المَنْزِل، ونزله تنزيلاً، والتنزيل أيضاً الترتيب، والتنزيل: النزول في مهلة، ونزل من عُلْوٍ إلىٰ سُفْل: انحدر"[١].

وأما تعريف أسباب النزول اصطلاحاً بهذا التعريف المركب، فقد تعددت تعاريف العلماء والباحثين له، سواء المتقدمين والمتأخرين.

فقد عرفه السيوطي بقوله: "والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه"[٢].

وعرفه القطان بقوله: "ولذا نعرف سبب النزول بما يأتي: هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال"[٣].

وعرفه الدكتور صبحي الصالح بقوله: "معرفة ما نزلت الآية أو الآيات بسبب متضمنة له أو مجيبة عنه، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه"[٤].

ثالثاً: الفرح في القرآن الكريم:

الفرح في اللغة: ضد الحزن وهو السرور والبشارة، وهي كلمة من الأضداد.

قال ابن فارس: "فرح: الفاء والراء والحاء أصلان يدل أحدهما علىٰ خلاف الحزن،...، يقال: فرح يفرح فرحاً فهو فرح"[٥].

وقال الصاحب بن عباد: "الفرح نقيض الحزن، رجل فَرِحٌ وفرْحان، وامرأة فرحةٌ فَرْحىٰ، وما يسرني به مفروح ومفرح، فالمفروح الذي أفرح به، والمفرح: الشيء يفرحني، يقال: أفرحته سررته، وغممته أيضاً"[٦].

والفرح يكون من سرور، قال الراغب: "الفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة"[٧].

وقد جاء في القرآن الكريم في (٢٢) موضعاً، قال ابن القيم: "وقد جاء الفرح في

(١) انظر: لسان العرب (١١/ ٧٨٢)، مادة "نزل".

(٢) انظر: الإتقان (١/ ٩٠)، لباب النقول (ص٨).

(٣) انظر: مباحث في علوم القرآن (ص٧٨).

(٤) انظر: مباحث في علوم القرآن (ص٥٤).

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤٩٩)، مادة: "فرح".

(٦) انظر: المحيط في اللغة (٣/ ٨٣)، مادة: "فرح".

(٧) انظر: المفردات (ص٦٢٨).

القرآن على نوعين مطلق ومقيد، فالمطلق جاء في الذم، كقوله: ﴿ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦]، وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ [هود: ١٠]، والمقيد: نوعان أيضاً، مقيد بالدنيا ينسى صاحبه فضل الله ومنته، فهو مذموم، كقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤]، والثاني مقيد بفضل الله وبرحمته، وهو نوعان أيضاً: فضل ورحمة بالسبب، وفضل بالمسبب، فالأول: كقوله: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ [يونس: ٥٨]، والثاني: كقوله: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٧٠]"[١].

وقال ابن عطية: "ولا يأتي الفرح في القرآن ممدوحاً إلّا قيد بأنه في خير"[٢].

* * *

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/ ١٤٩).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٥٤).

المبحث الأول

الأسباب التي جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يفرح بنزول الآيات والسور.

بعد حصر المواضع من الآيات والسور واستقرائها تبين أن فرح النبي صلىٰ الله عليه وسلم يتمثل في الأسباب الآتية، وإن كان في بعض الروايات ضعف فقد بينت ذلك في موطنه:

أولاً: أن تنزل الآيات تطييباً لنفس النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وإزالة همٍّ نزل به، وشاهد ذلك ما جاء في سبب نزول الآية (٥٢) من سورة الحج.

ثانيـًا: أن تنزل الآيات تفريجـًا للصحابي الذي بسببه نزلت الآيات فيفرح النبي صلىٰ الله عليه وسلم لفرح ذلك الصحابي، وشاهد ذلك ما جاء في سبب نزول الآية (٦) من سورة النور، وكذا الآيات (١-٤) من سورة المجادلة.

ثالثـًا: أن تنزل الآيات تبرئة لعرضه - صلىٰ الله عليه وسلم - من الإفك الذي وقع علىٰ زوجه صلىٰ الله عليه وسلم، ومثال ذلك: الآيات (١١-٢٠) من سورة النور.

رابعـًا: أن تنزل الآيات الكريمة لتمهد الطريق للذين انغمسوا في الكفر ووقعوا في الرذيلة للتوبة وغفران ما سبق، ومثال ذلك: الآيات (٦٨-٦٩) من سورة الفرقان.

خامسـًا: أن تنزل الآيات مشرعة تشريعـًا عامـًا في أن الأدعياء ليسوا كالأبناء في الأحكام الشرعية، ومثال ذلك: آية (٣٧) من سورة الأحزاب.

سادسـًا: أن تنزل الآيات باعتبار المصلحة الغائبة عن أذهان الصحابة رضوان الله عليهم والوعد لهم بالخير الذي لا ينقطع، ومثال ذلك: آية (١) من سورة الفتح.

سابعـًا: أن تنزل الآيات لإبطال معتقد فاسد، وتصحيح مفهوم خاطئ، ومثال ذلك الآيتان (٢٨-٢٩) من سورة التكوير.

ثامنـًا: أن تنزل الآيات بشارة للنبي - صلىٰ الله عليه وسلم - وسائر الأمة، مثال ذلك: الآيتان (٥-٦) من سورة الشرح.

تاسعـًا: أن تنزل الآيات بمزيد مزية للنبي - صلىٰ الله عليه وسلم - عن غيره من الأنبياء، واختصاصه بنعمة عن غيره من السابقين، ومثال ذلك نزول سورة التكوير.

* * *

المبحث الثاني

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾[سورة الحج].

قال السيوطي: "وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير عن محمد بن كعب القرظي، ومحمد بن قيس، قالا: جلس رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في ناد من أندية قريش كثير أهله، فتمنىٰ يومئذ ألا يأتيه من الله شيء فيتفرقون عنه، فأنزل الله عليه: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾[سورة النجم]، فقرأها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ بلغ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾[سورة النجم]، ألقىٰ الشيطان كلمتين: تلك الغرانيق العلىٰ، وإن شفاعتهم لترتجىٰ، فتكلم بها، ثم مضىٰ، فقرأ السورة كلها ثم سجد في آخر السورة وسجد القوم جميعاً معه ورضوا بما تكلم به، فلما أمسىٰ أتاه جبريل فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقىٰ الشيطان عليه قال: ما جئتك بهاتين الكلمتين، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: افتريت علىٰ الله وقلت ما لم يقل، فأوحىٰ الله إليه: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [سورة الإسراء]، فما زال مغموماً مهموماً من شأن الكلمتين حتىٰ نزلت: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾، فسري عنه وطابت نفسه".

الدراسة:

للحديث حول هذه الآية الكريمة وموقف المفسرين من سبب النزول عدة وقفات:

الوقفة الأولىٰ: مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآية عطفت علىٰ جملة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة الحج]، لأنه لما أفضىٰ الكلام السابق إلىٰ تثبيت النبي عليه الصلاة والسلام وتأنيس نفسه فيما يلقاه من التكذيب بأن تلك شنشنة الأمم الظالمة من قبلهم، فيما جاء

عقب قوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ [الحج: ٤٨]، وأنه مقصور على النذارة فمن آمن فقد نجا، ومن كفر فقد هلك، أريد الانتقال من ذلك إلى تفصيل تسليته وتثبيته بأنه لقي ما لقيه سلفه من الرسل والأنبياء عليهم السلام، وأنه لم يسلم أحد من محاولة الشيطان أن يفسد بعض ما يحاولونه من هدي الأمم، وأنهم لقوا من أقوامهم مكذبين ومصدقين سنة الله في رسله عليهم السلام"[١].

الوقفة الثانية: قوله تعالى: ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾.

التمني كلمة مشهورة حقيقتها: طلب الشيء العسير حصولُه[٢].

والتمني في اللغة يطلق على أحد شيئين كليهما قيلا في معنى الآية الكريمة:

الأول: باطني قلبي، وهو تمني القلب بمعنى يريده ويحبه، ويطلق على معنى حدّث أي حديث النفس، والمعنى: أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا حدّث نفسه ألقى الشيطان في حديثه على جهة الحيْطة، فيقول: لو سألت الله عز وجل أن يغنِّمك ليتسع المسلمون، ويعلمُ الله عز وجل أن الصلاح في غير ذلك، فيبطل ما يلقي الشيطان.

ويقال أيضاً: إن الشيطان ألقى ما تمناه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقاربة قومه وكونهم متبعين له، قالوا: فلما تمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لم يقضه الله تبارك وتعالى وجد الشيطان السبيل[٣].

وهذا القول مروي عن ابن عباس[٤]، ورجحه النحاس[٥]، حيث قال: "وهذا من أحسن ما قيل في الآية وأعلاه وأجلّه".

الثاني: بمعنى التلاوة والقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ [البقرة: ٧٨]، أي إلّا قراءة؛ لأن الأمي لا يعلم القرآن من

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢١٤).
(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢١٥).
(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي (٨/ ٢٣٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (١٠/ ٣٠٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/ ٤٣٠).
(٤) رواه عنه ابن جرير في تفسيره (١٦/ ٦٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٠٢).
(٥) انظر: إعراب القرآن (٣/ ١٠٤).

المصحف، وإنما يعلمه قراءة، ومنه قول الشاعر:

تمنىٰ كتابَ اللهِ أول ليلةٍ ** وآخِرَها لَاقَىٰ في حِمَام المقادِرِ[1]

وقد ذكر هذا القول في معنىٰ الآية، فقد ورد عن ابن عباس[2]، وروي عن مجاهد والضحاك[3]، ورجحه ابن عطية والقرطبي.

قال ابن عطية: "ولا خلاف أن إلقاء الشيطان إنما هو لألفاظ مسموعة بها وقعت الفتنة"[4].

وقال القرطبي: "قلت: قوله تعالىٰ: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً ﴾ الآية، يَردُّ حديث النفس"[5].

قال ابن عاشور متعقباً هذا القول: "وقد فسر كثير من المفسرين "تمنىٰ" بمعنىٰ قرأ، وتبعهم أصحاب كتب اللغة، وذكروا بيتاً نسبوه إلىٰ حسان بن ثابت وذكروا قصة بروايات ضعيفة، وأيّا ما كان فالقول فيه هو والقول في تفسير التمني بالمعنىٰ المشهور سواء، أي إذا قرأ علىٰ الناس ما أنزل إليه ليهتدوا به ألقىٰ الشيطان في أمنيته أي في قراءته أي وسوس لهم في نفوسهم ما يناقضه وينافيه بوسوسته للناس التكذيب والإعراض عن التدبر، فشبه تسويل الشيطان بوسوسته للكافر عدم امتثال النبي بإلقاء شيء في شيء لخلطه وإفساده، وعندي في صحة إلحاق لفظ الأمنية علىٰ القراءة شك عظيم، فإنه وإن كان قد ورد تمنىٰ بمعنىٰ "قرأ" في بيت نسب إلىٰ حسان بن ثابت إن صحّت رواية البيت عن حسان علىٰ اختلاف في مصراعه الأخير: "تمنىٰ كتاب الله أول ليلة ** تمني دواد الزبور علىٰ مهل"، فلا أظن أن القراءة يقال لها أمنية"[6].

الوقفة الثالثة: صحة الرواية المعروفة بقصة الغرانيق من عدمها.

---

(١) البيت من غير نسبة في كتاب العين (٨/ ٣٩٠)، والمحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٥١١)، ولسان العرب (١٥/ ٢٩٤)، وقد ذكروا أنه في رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) ذكره عنه الواحدي في تفسيره البسيط (١٥/ ٤٥٢).

(٣) رواه عنهما الطبري في تفسيره (١٦/ ٦٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٠٢).

(٤) انظر: تفسيره (١٠/ ٣٠٥).

(٥) انظر: تفسيره (١٤/ ٤٣١).

(٦) انظر: تفسيره (١٧/ ٢١٦).

اختلف أهل التفسير والحديث في صحة الرواية من عدمها علىٰ قولين:

القول الأول: من قال بثبوت القصة وتصحيحها، وقد انقسم هؤلاء إلىٰ طائفتين:

الطائفة الأولىٰ: أن الشيطان ألقىٰ علىٰ لسان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تلك الكلمات، ثم إن الله أحكم آياته ودحر الشيطان ولقّن نبيه حجته.

وممن صحت عنه الرواية ممن قال بهذا القول من المفسرين: سعيد بن جبير، وقتادة، وأبي العالية، وابن شهاب، والسدي[١].

وتبعهم في ذلك طائفة من المفسرين المتقدمين منهم والمتأخرين، فذكروا هذه القصة وحشوا تفاسيرهم بها دون نكير لها، منهم الطبري وابن أبي حاتم، وابن أبي زمنين، والثعلبي، والواحدي، والزمخشري، وابن عجيبة الحسني[٢].

وقال الألوسي بعد أن حكىٰ هذا القول: "وذهب إلىٰ صحة القصة أيضاً خاتمة المتأخرين الشيخ إبراهيم الكوراني ثم المدني"[٣].

الطائفة الثانية: قالوا بأن القصة ثابتة، لكن فيها ما يستنكر، وهو قوله: "ألقىٰ الشيطان علىٰ لسانه..." فتعين تأويله، وقال بهذا القول ابن حجر في "فتح الباري"[٤]، والمناوي في "الفتح السماوي"[٥].

قال الألوسي: "وتوسط جمع في أمر هذه القصة فلم يثبتوها كما أثبتها الكوراني عفا الله تعالىٰ عنه من أنه صلىٰ الله عليه وسلم نطق بما نطق عمداً معتقداً للتلبيس أنه وحي حاملاً له علىٰ خلاف ظاهره ولم ينفوها بالكلية، كما فعل أجلة أثبات وإليه أميل، بل أثبتوها علىٰ وجه غير الوجه الذي أثبته الكوراني، واختلفوا فيه علىٰ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٦٠٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٢).

(٢) انظر في تفسير كل من: الطبري (١٦/ ٦٠٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٢)، وابن أبي زمنين (٣/ ١٨٦)، والثعلبي (٧/ ٣٠)، والواحدي في البسيط (١٥/ ٤٥٣)، والزمخشري (٣/ ١٦٦)، وابن عجيبة (٤/ ٤٢٥).

(٣) انظر: تفسيره (١٧/ ٢٣١).

(٤) (٨/ ٤٣٩).

(٥) ٢/ ٤٨٣-٨٤٧).

أوجه..."[1]، ثم ذكر الألوسي هذه الأوجه، وهي عبارة عن خلاصة ذكرها البغوي قبله في "معالم التنزيل"[2]، والقاضي عياض في كتابه "الشفا"[3]، وابن حجر في "فتح الباري"[4]، وهي كالتالي:

الأول: أنه جرىٰ علىٰ لسان الرسول - صلىٰ الله عليه وسلم - حين أغفىٰ إغفاءة وهو لا يشعر، وردّ هذا القول القاضي عياض.

الثاني: قيل لعل النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - قاله أثناء تلاوته علىٰ تقدير التقريع والتوبيخ للكفار وأنه ليس من القرآن، بل قاله بعد السكت ثم رجع إلىٰ تلاوته.

الثالث: قيل: إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلاً ويفصِّل الآي تفصيلاً في قراءته فتمكن الشيطان لتلك السكتات ودسُّه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكياً نغمة النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - بحيث يسمعها من دنا إليه من الكفار فظنوها من قوله وأشاعوها.

قال القاضي عياض: "وهذا التأويل أحسن ما قيل في هذا"، وبه قال أيضاً ابن عطية في تفسيره[5]، وابن كثير[6].

الرابع: قيل: إن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - لما وصل إلىٰ قوله: ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به، فبادروا علىٰ ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ عادتهم في قولهم: ﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ ﴾ [فصلت: ٢٦]، ونسب ذلك إلىٰ الشيطان لأنه الحامل لهم علىٰ ذلك، أو المراد بالشيطان شيطان الإنس، وأن المشركين أشاعوا ذلك وأذاعوه.

---

(١) (١٧/ ٢٤٠).

(٢) (٥/ ٣٩٤).

(٣) (٢/ ٢٩٨).

(٤) (٨/ ٤٣٩).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (١٠/ ٣٠٦).

(٦) قال ابن كثير: "وهذا من ألطفها"، انظر: تفسيره (٥/ ٤٣٣).

وهذه الأوجه التي ذكرها العلماء الأجلاء لا يخفىٰ التكلف فيها حتىٰ القاضي عياض قال: "وقد أجاب أئمة المسلمين عنه بأجوبة منها الغث والسمين"، علماً أنه رحمه الله قد تعرض لهذه الأوجه في كتابه "الشفا"[(١)].

وقال الألوسي أيضاً: "وكلها عندي مما لا ينبغي أن يلتفت إليها"[(٢)].

وقال القرطبي: "وضعف الحديث مُغْن عن كل تأويل والحمد لله"[(٣)].

القول الثاني: من قال ببطلان القصة سنداً ومتناً، وهم جمهور العلماء من المفسرين والمحدثين، فالروايات الواردة في ذلك معلولة سنداً ومتناً ومردودة بالكتاب والسنة والنظر.

أما سنده:

فقد قال البيهقي: "هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعون فيهم"[(٤)].

وابن خزيمة سئل عن هذه القصة فقال: "هذا وضع من الزنادقة وصنف فيه كتاباً"[(٥)].

وقال القاضي عياض: "فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه بسند سليم متصل ثقة"[(٦)].

وقال ابن حزم: "وأما الحديث الذي فيه وإنهن الغرانيق العلىٰ وإن شفاعتهن لترتجىٰ، فكذب بحت موضوع، لأنه لم يصح قط من طريق النقل"[(٧)].

وقال ابن عطية: "وهذا الحديث الذي فيه هذه الغرانقة وقع في كتب التفسير ونحوها، ولم يدخله البخاري ولا مسلم ولا ذكره – في علمي – مصنف مشهور"[(٨)].

---

(١) انظر: (٢/ ٢٩٨).

(٢) انظر: تفسيره (١٧/ ٢٤٠).

(٣) انظر: تفسيره (١٤/ ٤٣٠).

(٤) انظر: شرح الشفا، لملا علي قاري (٢/ ٢٢٧).

(٥) ذكره عنهما الرازي في تفسيره (٨/ ٤٣٩)، ولم أجدها في كتبهما المطبوعة.

(٦) انظر: الشفا (٢/ ٢٩٨).

(٧) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٤٨).

مشهور"[١].

وقال ابن كثير: "وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلىٰ أرض الحبشة ظنـًا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح والله أعلم".

وقال في موضع آخر: "وكلها مرسلات ومنقطعات"[٢].

وأما من جهة المتن فقد قال الرازي: "وأما أهل التحقيق فقد قالوا إن هذه الرواية باطلة موضوعة، واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول"[٣].

وقال الشنقيطي: "فقد دلت آيات قرآنية علىٰ بطلان هذا القول"[٤].

فأمّا الرد علىٰ القول الأول من جهة القرآن الكريم.

فنقول هناك آيات كريمة تحدثت عن حفظ الله سبحانه للقرآن، ومن هذه الآيات ما يلي:

قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢ ﴾[سورة فصلت]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾[سورة النجم]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ ﴾[سورة يونس]، وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ [سورة الحجر].

وأما من جهة السنة، فقد روىٰ البخاري في صحيحه أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قرأ سورة النجم، وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيه حديث الغرانيق[٥].

(١) انظر: المحرر الوجيز (١٠/ ٣٠٥).

(٢) انظر: تفسيره (٥/ ٤٣٣).

(٣) انظر: تفسيره (٨/ ٢٣٧).

(٤) انظر: أضواء البيان (٣/ ٥٢٩).

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة النجم، باب "فاسجدوا لله واعبدوه"، =

وأما من جهة النظر، فمن وجوه:

الأول: أن من جوز علىٰ الرسول صلىٰ الله عليه وسلم تعظيم الأوثان فقد كفر؛ لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان.

الثاني: أنه عليه السلام ما كان يمكنه في أول الأمر أن يصلي ويقرأ القرآن عند الكعبة آمناً أذىٰ المشركين له حتىٰ كانوا ربما مدوا أيديهم إليه، وإنما كان يصلي إذا لم يحضروها ليلاً، أو في أوقات خلوة، وذلك يبطل قولهم.

الثالث: أن معاداتهم للرسول صلىٰ الله عليه وسلم كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا علىٰ حقيقة الأمر، فكيف أجمعوا علىٰ أنه عظم آلهتهم حتىٰ خروا سجداً مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم.

الرابع: قوله تعالىٰ: ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [الحج: ٥٢]، وذلك لأن إحكام الآيات بإزالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول، أقوىٰ من نسخه بهذه الآيات التي تبقىٰ الشبهة معها، فإذا أراد الله إحكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآناً، فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلاً أولىٰ[(١)].

الترجيح:

ما سبق بيانه من عدم صحة الروايات الواردة في قصة الغرانيق سنداً ومتناً وما أوردناه من رد لما ذهب إليه أصحاب القول الأول بدلالة القرآن والسنة والنظر كافٍ في بيان قوة قول من قال ببطلان الروايات سنداً ومتناً.

قال البيضاوي بعد أن ذكر الرواية: "وهو مردود عند المحققين"[(٢)].

وقال ابن عاشور: "وبما تلقيت في تفسير هذه الآية من الانتظام البيّن الواضح المستقل بدلالته والمستغني بنهله من عُلالته، والسالم من التكلفات والاحتياج إلىٰ ضميمة القصص ترىٰ أن الآية بمعزل عما ألصقه بها الملصقون والضعفاء في علوم السنة، وتلقاه منهم فريق من المفسرين حباً في غرائب النوادر دون تأمل ولا

=

حديث (٤٨٦٢) (ص٨٦١).

(١) انظر: التفسير الكبير، للرازي (٨/ ٢٣٧).

(٢) انظر: تفسيره (٢/ ٦٩٠).

تمحيص... وهي قصة يجدها السامع ضِغثاً علىٰ إبّالة ولا يلقي إليها النحرير باله"[1].

وقال الشنقيطي: "اعلم أن مسألة الغرانيق مع استحالتها شرعاً ودلالة القراءة علىٰ بطلانها لم تثبت من طريق صالح للاحتجاج"[2].

ولمن أراد زيادة البحث والنظر فليراجع بحثاً قيماً للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، اسمه: "نصب المناجيق لنسف قصة الغرانيق"[3]، والله تعالىٰ أعلم.

الوقفة الرابعة: هذا الأثر ذكر السيوطي أنه أخرجه سعيد بن منصور، لكن لم أجده في سنن سعيد بن منصور المطبوع.

وكذا أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٦٠٨).

وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٠٢).

وابن أبي زمنين في تفسيره (٣/ ١٨٦).

ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣١٠).

الوقفة الخامسة: النتيجة.

ما ذكر آنفاً من عدم صحة الروايات سنداً ومتناً يقودنا إلىٰ القول بأن الموطن لا يصلح للاستدلال به هنا، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢١٩).

(٢) انظر: تفسيره (٣/ ٥٢٩).

(٣) انظر: حاشية تفسير الواحدي "البسيط" (١٥/ ٤٥٧).

المبحث الثالث

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ ﴾ [النور: ٦].

قال الواحدي: قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ [آية ٦ سورة النور]، أخبرنا أبو عثمان سعيد ابن محمد بن المؤذن قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن علي الحيرىٰ قال: أخبرنا الحسن ابن سفيان قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: أخبرنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا عباد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: "لما نزلت: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾- إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾قال سعد بن عبادة وهو سيد الانصار: أهكذا أنزلت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ألا تسمعون يا معشر الانصار إلىٰ ما يقول سيدكم؟ قالوا: يا رسول الله إنه رجل غيور، والله ما تزوج امرأة قط إلا بكراً وما طلق امرأة قط فاجترأ رجل منا علىٰ أن يتزوجها من شدة غيرته، فقال سعد: والله يا رسول الله إني لأعلم أنها حق وأنها من عند الله، ولكن قد تعجبت أن لو وجدت لكاع[1] قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتىٰ آتي بأربعة شهداء فو الله إني لا آتىٰ بهم حتىٰ يقضي حاجته، فما لبثوا إلا يسيراً حتىٰ جاء هلال بن أمية من أرضه عشياً فوجد عند أهله رجلاً فرأىٰ بعينه وسمع بأذنه فلم يهيجه حتىٰ أصبح وغدا علىٰ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله إني جئت أهلي عشياً فوجدت عندها رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - ما جاء به واشتد عليه، فقال سعد بن عبادة: الآن يضرب رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - هلال بن أميه ويبطل شهادته في المسلمين، فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً، فقال هلال: يا رسول الله إني قد أرىٰ ما قد اشتد عليك مما جئتك به، فوالله يعلم إني لصادق، فوالله إن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي، وكان إذا نزل عليه عرفوا ذلك في تربد جلده،

(١) لكاع: اللكع عند العرب: العبد ثم استعمل في الحمق والذم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٦١٣).

فأمسكوا عنه حتىٰ فرغ من الوحي، فنزلت - والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم - الآيات كلها، فسرىٰ عن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فقال أبشر يا هلال، فقد جعل الله لك فرجًا ومخرجًا، فقال هلال: قد كنت أرجو ذاك من ربي، وذكر باقي الحديث"[1].

الدراسة:

هذه الآية الكريمة هي أصل اللعان، ولهذا تسمىٰ آية اللعان، كما سيأتي في أسباب النزول.

وفي هذه الآية الكريمة عدّة وقفات:

الوقفة الأولىٰ: مناسبة الآية لما قبلها.

لما ذكر الله عز وجل في الآيتين السابقتين وهو قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾[سورة النور]، حدّ القذف إذا لم يأت القاذف بأربعة شهداء، وكان لفظ "المحصنات" لفظًا عامًا لمن قذف أي امرأة فعليه أن يأتي بأربعة شهداء يشهدون علىٰ صدق ما قال، أعقب ذلك سبحانه هذه الآية والتي تبين الحكم فيما إذا كان القاذف الزوج لزوجته، ولم يأتِ بالشهداء الأربعة فإنه يصار بعد ذلك إلىٰ اللعان الوارد في الآية الكريمة؛ لأن الزوج لا يقدم علىٰ رمي زوجته وقذفها - غالبًا - إلّا إذا كان صادقًا فيما يقول، ففي هذه الآية زيادة فرج ومخرج للأزواج إذا تعسر وعزَّ عليه إقامة البينة أن يصار إلىٰ ما جاء في الآية الكريمة من أمر اللعان[2].

الوقفة الثانية: سبب نزول الآية الكريمة:

لنزول الآية الكريمة عدّة أسباب، ذكرها المفسرون والمحدثون، وهي كالتالي:

السبب الأول: وهو موضع الدراسة الذي رواه الواحدي في أسباب النزول، وله

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص٣١٦)، وأحمد في المسند (١٧/ ٢١٧) رقم (٣٥٩)، وذكره السيوطي في لباب النقول (ص٢٠٥).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٩٥)، وانشراح الصدور في تدبر سورة النور، للدكتور سليمان اللاحم (ص٥٢).

أصل في الصحيحين على اختلافٍ في الروايات، ففي البخاري من حديث عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي - صلى الله عليه وسلم - بشريك بن سحماء.... الحديث"[١].

وعند مسلم من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: "إن هلال بن أمية قذف امرأته بشريك بن سحماء، وكان أخا البراء بن مالك لأمه، وكان أول رجل لاعن في الإسلام.... الحديث"[٢].

فسبب النزول هنا يبين أن هلال ابن أمية قذف زوجته بشريك بن سحماء.

قال ابن عطية: "والمشهور أن نازلة هلال قبل وأنها سبب الآية..."[٣].

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم: "قال الماوردي من أصحابنا في كتابه الحاوي: قال الأكثرون قصة هلال بن أمية أسبق...، ثم قال: وقال ابن الصباغ من أصحابنا في كتابه الشامل: قصة هلال تبين أن الآية نزلت فيه أولاً"[٤].

السبب الثاني: عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن عويمراًالعجلاني جاء إلى عاصم ابن عدي الأنصاري فقال له: يا عاصم، أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ سل لي يا عاصم عن ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، فسأل عاصمٌ عن ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسائل وعابها، حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فلما رجع عاصم إلى أهله، جاءه عويمر، فقال: يا عاصم، ماذا قال لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ قال عويمر: لم تأتني بخير، قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة التي سألته عنها، قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأله عنها، فأقبل عويمر حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال: يا رسول الله أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً، أيقتله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد أنزل الله فيك وفي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب "ويدرأ عنها العذاب"، حديث (٤٧٤٧) (ص٨٢٨).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللعان، حديث (١٤٩٦) (ص٦٥٠).
(٣) المحرر الوجيز (١٠/ ٤٣٩).
(٤) (١٠/ ١١٩).

صاحبتك فاذهب فأتِ بها)، قال سهل: فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فلما فرغا قال عويمر: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثـًا قبل أن يأمره رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - "[1].

قال القرطبي: "قال الطبري: يستنكر قوله في الحديث هلال بن أمية، وإنما القاذف عويمر بن زيد العجلاني... قال الكلبي: والأظهر أن الذي وجد مع امرأته شريكًا عويمر العجلاني لكثرة ما روي أن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - لاعن بين العجلاني وامرأته..."[2].

وقال ابن عاشور بعد أن ذكر حديث سهل بن سعد: "فكانت هذه الآية مبدأ شرع الحكم في رمي الأزواج نساءهم بالزنىٰ، واختلط صاحب القصة علىٰ بعض الرواة فسموه هلال... والصواب أن سبب نزول الآية قصة عويمر العجلاني"[3].

السبب الثالث: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، "أنه سئل عن المتلاعنين أيفرق بينهما؟ قال: سبحان الله، نعم إن أول ما سأل عن ذلك فلان بن فلان، قال: يا رسول الله أرأيت أن لو وجد أحدنا امرأته علىٰ فاحشة كيف يصنع؟ إن تكلم تكلم بأمر عظيم، وإن سكت سكت علىٰ مثل ذلك، قال: فسكت النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - فلم يجبه، فلما كان بعد ذلك أتاه فقال: إن الذي سألتك عنه قد ابتليتُ به، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات في سورة النور: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ فتلاهن عليه ووعظه وذكَّره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، قال: لا والذي بعثك بالحق ما كذبتُ عليها، ثم دعاها فوعظها وذكرها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، قالت: لا والذي بعثك بالحق إنه لكاذب فبدأ الرجل فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم ثنىٰ بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب من أجاز طلاق الثلاث، حديث (٥٢٥٩) (ص٩٣٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللعان، حديث (١٤٩٢) (ص٦٤٧).

(٢) انظر: تفسيره (١٥/ ١٤١)، وذكر ذلك أيضـًا القرطبي صاحب كتاب المفهم شرح صحيح مسلم (٤/ ٣٠٠).

(٣) انظر: تفسيره (١٨/ ١٣١).

عليها إن كان من الصادقين، ثم فرق بينهما"[١].

السبب الرابع: عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: إنا ليلة الجمعة في المسجد، إذ جاء رجل من الأنصار فقال: لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فتكلم جلدتموه، أو قتل قتلتموه، إن سكت سكت على غيظ، والله لأسألن عنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فلما كان من الغد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله، فقال: لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فتكلم جلدتموه، أو قتل قتلتموه، أو سكت سكت على غيظ، فقال: (اللهم افتح) وجعل يدعو، فنزلت آية اللعان: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ ﴾، هذه الآيات، فابتلي به ذلك الرجل من بين الناس، فجاء هو وامرأته إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فتلاعنا، فشهد الرجل أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، ثم لعن الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، فذهبت لتلعن، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مه)[٢]، فأبت فلعنت، فلما أدبرا، قال: (لعلها أن تجيء به أسوداً جعداً) فجاءت به أسوداً جعداً"[٣].

السبب الخامس: عن حذيفة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأبي بكر: "لو رأيت مع أمِّ رومان رجلاً ما كنت فاعلاً به؟ قال: كنت فاعلاً به شراً، قال: وأنت يا عمر؟ قال لعن الله الأعجز، وإنه لخبيث فنزلت"[٤].

الوقفة الثالثة: الموقف من تعدد أسباب نزول الآية الكريمة.

بعد ذكر ما ورد في نزول الآية الكريمة يرد سؤال، وهو من الذي نزلت بسببه الآية الكريمة؟.

الجواب: بعد النظر في الروايات الواردة في الآية، وما قاله أئمة التفسير

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللعان، حديث (١٤٩٣) (ص٦٤٨).

(٢) مه: أي فماذا، للاستفهام، وقيل: هو زجر. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٦٩٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللعان، حديث (١٤٩٥) (ص٦٥٠).

(٤) أخرجه البزار في مسنده (٧/ ٣٤٣) رقم (٢٩٤٠)، وقال: "وهذا الحديث لا نعلم أحداً أسنده إلا النضر بن شميل عن يونس"، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ١٠٦) رقم (٨١١١)، وذكره الهيثمي في كشف الأستار في تفسير سورة النور (٣/ ٦٠) رقم (٢٢٣٧)، وقال في مجمع الزوائد (٧/ ١٢٦) رقم (١١١٩٥): "رواه البزار ورجاله ثقات".

والحديث تبين اقتصارها على أقوال أربعة:

القول الأول: أن الآية الكريمة نزلت بسبب عويمر العجلاني.

القول الثاني: أن الآية نزلت بسبب هلال بن أمية.

القول الثالث: أن الآية نزلت بسبب عويمر العجلاني وهلال ابن أمية، فهما قصتان، وقعتا في وقت واحد فنزلت الآية فيهما معاً.

القول الرابع: أن الآية الكريمة نزلت مرتين على النبي صلى الله عليه وسلم[1].

الراجح: للباحث القول أن سبب نزول آية اللعان هو عويمر العجلاني عندما قذف امرأته بشريك بن سحماء، وللباحث القول أيضاً ولعله الأقرب إلى الصواب والله أعلم أن الآية نزلت بسبب عويمر العجلاني وهلال بن أمية، بمعنى أنهما قصتان وقعتا في وقت واحد أو متقارب.

قال ابن عاشور: "والتحقيق أنهما قصتان حدثتا بوقت واحد أو متقارب"[2].

الوقفة الرابعة: النتيجة.

تبين من خلال الرواية الأم في هذه الآية الكريمة التي جاء فيها: "فسري عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: أبشر يا هلال" ما يلي:

أن النص ليس فيه ففرح النبي – صلى الله عليه وسلم – كما دلَّ البحث على ذلك، إلّا أن السياق يدل على فرحه – صلى الله عليه وسلم – بدليل أنه قال: "أبشر يا هلال"، والبشارة إنما تكون في الأمر السار والمفرح، ومضمون فرحه – صلى الله عليه وسلم – هنا لما فيه من تفريج لهمٍّ ورفع مشقة وقعت على الصحابيّ الجليل، وإن كانت الرواية جاءت من طريق عباد بن منصور عن عكرمة وهو مدلس، إلّا أن الروايات الأخرى تشهد له[3].

* * *

(١) انظر: المحرر في أسباب نزول القرآن، د.خالد المزيني (٢/ ٧٣٠-٧٤٢) بتصرف.

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٨/ ١٣١).

(٣) انظر: تحقيق كتاب الواحدي، لعصام الحميدان (ص٣١٦).

المبحث الرابع

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾هُوَ... ﴾الآيات [سورة النور].

قال الواحدي: "قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ.... ﴾ الآيات [سورة النور: ١١-٢٠].

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد المقري، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن علي المقري، قال: أخبرنا أبو يعلىٰ، قال: أخبرنا أبو الربيع الزهراني، قال: أخبرنا فليح بن سلمان المدني، عن الزهري، عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبدالله ابن عتبة، عن عائشة زوج النبي عليه الصلاة والسلام حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله تعالىٰ منه، قال الزهري: وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعىٰ لحديثها من بعض، وبعضهم حديثهم يصدق بعضاً، ذكروا أنّ عائشة رضي الله عنها زوج النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - قالت: كان رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - إذا أراد سفراً أقرع[1] بين نسائه، فأيتهنّ خرج سهمها خرج بها معه.

قالت عائشة - رضي الله عنها - فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي[2]، سهمي[2]، فخرجت مع رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم -، وذلك بعدما نزلت آية الحجاب فأنا أُحْمَلُ في هودجي وأُنْزَلُ فيه مسيرنا حتىٰ فرغ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - من غزوته وقفل ودنونا من المدينة أُذِنَ ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرَّحيل ومشيت حتىٰ جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلىٰ الرحل، فلمست صدري فإذا عقد من جزع ظفار[3]قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي

(١) أقرع: أي يختار بين نسائه. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٤٠).

(٢) سهمي: أي نصيبي. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٨٣٠).

(٣) جزع ظفار: الخرز اليماني. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٢٦٩).

فحبسني ابتغاؤه. وأقبل الرهط الذي كانوا يرحلون بي، فحملوا هودجي[1] فرحلوه علىٰ بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه.

قالت عائشة: وكانت النساء إذ ذاك خفافا لم يُهْبَلْنَ ولم يَغْشَهُنَّ اللحم إنما يأكلن العُلْقَة[2] من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فَتَيَمّمتُ منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سَيفْقِدُوني فيرجعوا إلي فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس[3] من وراء الجيش، فأدلج[4] فأصبح عند منزلي، فرأىٰ سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وقد كان يراني قبل أن يضرب علي الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتىٰ أناخ راحلته، فوطئ علىٰ يدها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتىٰ أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين[5] في نحر الظهيرة وهلك من هلك فِيَّ، وكان الذي تولىٰ كبره منهم عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمتها شهرا والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، ويريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - اللطف الذي كنت أرىٰ منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فيسلم ثم يقول: "كيف تيكم"، فذلك يحزنني، ولا أشعر بالشر حتىٰ خرجت بعد ما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع[6] وهو متبرزنا[7]، ولا نخرج إلا ليلا إلىٰ ليل، وذلك قبل أن

---

(١) هودجي: الهودج مراكب النساء، يصنع من العصي. انظر: لسان العرب (٢/ ٣٨٩).
(٢) العلقة من الطعام: أي يكتفىٰ بالقليل والبلغة من الطعام. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٤٧).
(٣) عرس: التعريس نزول المسافر آخر الليل نزلة للنوم والاستراحة. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ١٨).
(٤) فأدلج: الدلوج سير الليل. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٥٧٨).
(٥) موغرين: أي وقت الهاجرة، وهو وقت توسط الشمس السماء. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٨٦٧).
(٦) المناصع: هي المواضع التي يتخلىٰ فيها لقضاء الحاجة. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٧٥١).
(٧) متبرزنا: أي موضع قضاء الحاجة، يقال: تبرز الرجل أي خرج إلىٰ البراز للحاجة. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ١٢٥).

نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه، وكنا نتأذىٰ بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن عبد المطلب ابن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وابنها مسطح ابن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وابنة أبي رهم قبل بيتي حين فزعنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها(١)، فقالت: تعس(٢) مسطح، فقلت لها: بئسما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدراً؟ قالت: أي هنتاه(٣) أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضا إلىٰ مرضي، فلما رجعت إلىٰ بيتي ودخل علي رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فسلم ثم قال: "كيف تيكم؟ " قلت: تأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا أريد حينئذ أن أتيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - فجئت أبوي فقلت: يا أماه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فو الله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، قالت: فقلت سبحان الله، أو قد تحدث الناس بهذا وبلغ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم -؟ قالت: نعم؟. قالت: فبكيت تلك الليل حتىٰ أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، ودعا رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة بن زيد فأشار علىٰ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال: يا رسول الله هم أهلك وما نعلم إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله تعالىٰ عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - بريرة فقال: "يا بريرة هل رأيت شيئا يريبك من عائشة؟" قالت بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمصه عليها

(١) مرطها: الكساء يكون من صوف أو خز وغيره. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٦٥١) .
(٢) تعس: أي عثر وانكبّ لوجهه، وهو دعاء عليه بالهلاك. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ١٩٠) .
(٣) هنتاه: أي: يا هذه، وهي تختص بالنداء، وقيل: بلهاء، كأنها نسبت إلىٰ قلة المعرفة بمكايد النساء وشرورهن. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٩١٦) .

أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن[1] فتأكله، قالت: فقام رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول، فقال وهو علىٰ المنبر: "يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي، فو الله ما علمت علىٰ أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل علىٰ أهلي إلا معي"؛ فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قال: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحًا ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر علىٰ قتله. فقام أسيد بن الحضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، إنك منافق تجادل عن المنافقين. فثار الحيان من الأوس والخزرج حتىٰ هموا أن يقتتلوا ورسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – قائم علىٰ المنبر، فلم يزل يخفضهم حتىٰ سكتوا وسكت، قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت علي امرأة من الأنصار، فأذنت لها وجلست تبكي معي، قالت: فبينا نحن علىٰ ذلك إذ دخل علينا رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – ثم جلس، ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحىٰ إليه في شأني شيء، قالت: فتشهد رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – حين جلس ثم قال: "أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه"، قالت: فلما قضىٰ رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – مقالته قلص دمعي حتىٰ ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي أجب عني رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله. فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن: والله لقد عرفت

---

(١) الداجن: هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٥٥٤) .

أنكم سمعتم هذا وقد استقر في نفوسكم فصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا ما قال أبو يوسف: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨]، قالت: ثم تحولت واضطجعت على فراشي، قالت: وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله تعالى في بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رؤيا يبرئني الله تعالى بها، قالت: فو الله ما رام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منزله ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه – صلى الله عليه وسلم – وأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه من الوحي، قالت: فلما سري عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سري عنه وهو يضحك، وكان أول كلمة تكلم بها أن قال: "أبشري يا عائشة، أما والله لقد برأك الله"، فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله سبحانه وتعالى هو الذي برأني، قالت: فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ العشر الآيات. فلما أنزل الله تعالى هذه الآية في براءتي قال أبو بكر الصديق، وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره – والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ فقال أبو بكر: والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كانت عليه وقال: لا أنزعها منه أبداً. رواه البخاري ومسلم كلاهما عن أبي الربيع الزهراني"[1].

الدراسة:

العشر آيات نزلت في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وفيهاعدة وقفات:

الوقفة الأولى: مناسبة الآية لما قبلها.

لما ذكر الله سبحانه فيما تقدم تعظيم الرمي بالزنا عموماً، صار ذلك كأنه مقدمة

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص٣١٨-٣٢٣).

لهذه القصة التي وقعت علىٰ أشرف النساء أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها[1].

الوقفة الثانية: قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾... الآية، استئناف ابتدائي، فإن هذه الآيات العشر نزلت في زمن بعيد عن زمن نزول الآيات من أول هذه السورة[2].

الوقفة الثالثة: أجمعت كتب التفسير قاطبة أن الآيات العشر هذه نزلت في شأن عائشة رضي الله عنها.

قال الرسعني: "أجمع علماء الإسلام علىٰ أن هذه الآية وما في حيزها نزلت في قصة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها"[3]، والقصة مخرجة في الصحيحين[4].

وقد روىٰ هذه الحادثة كل من الطبري، وابن أبي حاتم، والثعلبي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والرسعني[5].

الوقفة الرابعة: النتيجة.

جاء في الرواية: فسري عنه وهو يضحك... وقال: "أبشري يا عائشة"، فالضحك يدل علىٰ فرحة النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – بنزول هذه الآيات الكريمة، التي جاءت مبرئة لعرضه الشريف – صلىٰ الله عليه وسلم – ومنوهة بذكرها حتىٰ تناول ذلك عموم المدح سائر زوجات النبي – صلىٰ الله عليه وسلم –.

* * *

(١) انظر: تفسير السعدي (ص٥٦٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٨/ ١٣٦).

(٣) انظر: تفسيره (٥/ ٢٠١).

(٤) فالحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث الإفك رقم (٤١٤١) (ص٧٠١)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف رقم (٢٧٧٠) (ص١٢٠٥).

(٥) انظر: جامع البيان (١٧/ ١٩٧)، تفسير القرآن العظيم (٨/ ٥٣٩)، الكشف والبيان (٧/ ٧٢)، أسباب النزول (ص٣١٨)، تفسير القرآن (٣/ ٥٠٧)، معالم التنزيل (٦/ ١٨)، رموز الكنوز (٥/ ٢٠١).

المبحث الخامس

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الفرقان].

قال السيوطي: "وأخرج ابن المنذر والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: "قرأنا علىٰ عهد النبي صلىٰ الله عليه وسلم سنين: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ ثم نزلت: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ الآية، فما رأيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم فرح بشيء قط فرحه بها"[(١)].

الدراسة:

في الآيات الكريمة عدة وقفات:

الوقفة الأولىٰ: مناسبة الآيات لما قبلها.

لما ذكر الله عز وجل في الآيات السابقة ما تحل به عباد الرحمن من أصول الطاعات بما لهم من العدل والإحسان بالأفعال والأقوال في الأبدان والأموال أتبعه سبحانه بما تخلوا عنه من أمهات المعاصي التي كانت ملازمة لقومهم من المشركين، فتنزه عباد الرحمن عنها بسبب إيمانهم[(٢)].

الوقفة الثانية: سبب نزول الآية الكريمة.

يذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات ما يلي:

السبب الأول: ما أورده السيوطي رحمه الله وهو موضع الدراسة[(٣)].

---

(١) انظر: الدر المنثور (٦/ ٢٥٢).

(٢) انظر: الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ٣٣٦).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٦٨) رقم (٥٥٧٩)، والكبير (١٢/ ١٦٧) رقم (١٢٩٣٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: "قلت له حديث في الصحيح غير هذا، رواه الطبراني من رواية علي ابن زيد عن يوسف بن مهران، وقد وثقا، وفيهما ضعف وبقية رجاله ثقات" (٧/ ١٣٩) رقم (١١٢٤٠).

السبب الثاني: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: "سئلت، أو سئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: أي الذنب عند الله أكبر؟ قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت: ثم أي؟ قال: ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قلت ثم أي؟ قال: أن تزني بحليلة جارك، قال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ ﴾"[1].

السبب الثالث: عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال: "إن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً صلىٰ الله عليه وسلم، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ ﴾، ونزل: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الزمر: ٥٣][2]، وفي لفظ قال: نزلت هذه الآية بمكة: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾، إلىٰ قوله: ﴿ مُهَانًا ﴾، فقال المشركون: وما يغني عنا الإسلام وقد عدلنا بالله، وقد قتلنا النفس التي حرم الله، وأتينا الفواحش؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ إلىٰ آخر الآية"[3].

السبب الرابع: عن ابن عباس قال: "لما نزلت: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ اشتد ذلك علىٰ المسلمين، فقالوا: ما منا أحد إلا أشرك وقتل وزنىٰ، فأنزل الله: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ ﴾ [الزمر: ٥٣]، يقول لهؤلاء الذين أصابوا هذا في الشرك، ثم نزلت بعده: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ ﴾ فأبدلهم الله بالكفر الإسلام، وبالمعصية الطاعة، وبالإنكار المعرفة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: "والذين لا يدعون مع الله إلهـًا آخر" (٤٧٦١) (ص٨٣٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب (٨٦) (ص٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: "يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم" (٤٨١٠) (ص٨٤٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله (١٢٢) (ص٦٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التفسير (٧٥٤٤) (ص١٣٠٨).

وبالجهالة العلم"[١].

الوقفة الثالثة: الموقف من تعدد الروايات في سبب النزول.

من خلال دراسة الآثار الواردة في سبب النزول تبين ما يلي:

أولاً: أن رواية "فما رأيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم فرح بشيء قط فرحه بها" تكلم فيه من جهة إسناده، فقد قال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران، وقد وثقا، وفيهما ضعف، وبقية رجاله ثقات"[٢].

ثانيـًا: أن لفظ "فما رأيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم فرح بشيء فرحه بها" لم ترد إلّا من هذا الطريق الذي تكلم فيه – آنفـًا – وعليه فيكون سبب نزول الآية بناء علىٰ الأثر الذي أقوم بدراسته لا يصلح أن يكون سببـًا لنزول الآية الكريمة.

ثالثـًا: أن جمهور المفسرين أوردوا الحديثين الثاني والثالث اللذين أخرجهما البخاري ومسلم واقتصروا علىٰ ذلك، منهم: الزمخشري[٣]، والرسعني[٤]، والقرطبي[٥]، وأبو حيان[٦]، وابن كثير[٧]، وابن عجيبة[٨]، والألوسي[٩].

رابعـًا: أن الأثر الرابع لم أجده في كتب المسانيد والأجزاء الحديثية فيما بين يدي، بيد أن الأثر له أصل في الصحيح كما أوردناه، وهو السبب الثالث.

خامسـًا: نتيجة حتمية لما أوردناه آنفـًا أن سبب نزول الآية انحصر في سببين هما السبب الثاني المروي عن ابن مسعود، والثالث المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٥٢)، وقال: وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس، قال: ....

(٢) انظر: مجمع الزوائد (٧/ ١٣٩).

(٣) انظر: تفسيره (٣/ ٣٠٠).

(٤) انظر: تفسيره (٥/ ٣٢٥).

(٥) انظر: تفسيره (١٥/ ٤٧٨).

(٦) انظر: تفسيره (٦/ ٦٢٣).

(٧) انظر: تفسيره (٥/ ٦٠٨).

(٨) انظر: تفسيره (٥/ ١٤٦).

(٩) انظر: تفسيره (١٩/ ٦٤).

الوقفة الرابعة: ما الراجح في سبب النزول.

إذا كان قد تقرر قبل أن سبب نزول الآية انحصر في سببين، هما حديث ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما، فأيهما الراجح في ذلك؟.

أقول: لننظر أولاً فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه، فالمتمعن في روايته يتبين له ما يلي:

أولاً: حديث ابن مسعود رضي الله عنه فيه تقييد القتل والزنىٰ، وفي الآية مطلقان، ولهذا قال ابن حجر[1]:

"والقتل والزنا في الآية مطلقان، وفي الحديث مقيدان، والاستدلال لذلك بالآية سائغ لأنها وإن وردت في مطلق الزنا والقتل لكن قتل هذا والزنا بهذه أكبر وأفحش".

وبذلك قال أيضـًا بدر الدين العيني[2].

ثانيـًا: قول ابن مسعود: "ونزلت الآية تصديقـًا لقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم"، فلا يفهم من هذا أنه صريح في سبب نزول الآية، حيث إن سبب نزول القرآن ينقسم إلىٰ قسمين كما يقرر ذلك علماء علوم القرآن، يقول الجعبري: "نزل القرآن علىٰ قسمين، قسم نزل ابتداء، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال"[3].

وليس هناك قسم ذكره العلماء باسم: ما نزل تصديقـًا لقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، لأن الرسول ينطق عن الله سبحانه وتعالىٰ كما قال سبحانه: ﴿ وَمَايَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة النجم][4].

ثالثـًا: هناك رواية أخرىٰ للحديث تثبت ما قرّر سلفـًا من أن الحديث ليس صريحـًا في سبب النزول، وهي: "وتلا هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾... الآية"[5].

(١) انظر: فتح الباري (٨/ ٣٦٢).
(٢) انظر: عمدة القاري (١٩/ ١٤٥).
(٣) انظر: الإتقان (١/ ٢٨).
(٤) انظر: المحرر في أسباب نزول القرآن (٢/ ٧٦٣).
(٥) أخرجها الترمذي في جامعه، كتاب أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، باب ومن سورة الفرقان (٣١٨٣) (ص٧٢٢)، وقال الألباني عن هذا الحديث: "صحيح"، انظر: صحيح سنن =

فالرواية جاء فيها "وتلا"، ولم يقل نزلت، فتبين من خلالها أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم استدل بهذه الآية علىٰ كلامه صلىٰ الله عليه وسلم.

قال القرطبي: "ظاهر هذا أن هذه الآية نزلت بسبب هذا الذنب الذي ذكره النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وليس كذلك؛ لأن الترمذي قد روىٰ هذا الحديث، وقال فيه: وتلا النبي صلىٰ الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآية، بدل فأنزل الله، وظاهره أنه عليه الصلاة والسلام قرأ بعد ذكر هذا الحديث ما قد كان أنزل منها علىٰ أن الآية تضمنت ما ذكره في حديثه بحكم عمومها"[1].

فبقي أثرٌ واحدٌ في سبب نزول الآية الكريمة، وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما اجتمعت فيه جوانب تدل علىٰ أنه هو سبب نزول الآية الكريمة، ومن هذه الجوانب:

١ – صحة سند الحديث، فالحديث مخرج في الصحيحين.

٢ – قوله في الحديث: "فأنزل الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾... الآية"، فقوله: "فأنزل" صريح في السببية، فقد ذكر المؤلفون في أسباب النزول أن من صيغ أسباب النزول أن يأتي الراوي بحادثة ثم يأتي بفاء التعقيب، يقول الدكتور عماد الدين الرشيد:

"تنقسم أسباب النزول من حيث صيغتها إلىٰ نوعين، أولاً: صريح الصيغة في السبب، وذلك بأن تكون صيغته قوية في الدلالة علىٰ أن آية ما نزلت بسبب حادثة معينة، ويدخل تحت هذا القسم نوعان... النوع الثاني: ظاهر في الصيغة الصريحة، وهو ما يحتمل غير التصريح بالسببية احتمالاً ضعيفاً، وذلك كأن يذكر الراوي حادثة ثم يأتي بفاء التعقيب داخلة علىٰ مادة "نزل" فيعد ذلك صيغة صريحة في سبب النزول، وهذه الصيغة أكثر الصيغ وروداً في كتب أسباب النزول"[2].

=

الترمذي (٣/ ٢٩٤).

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (١/ ٢٨١).

(٢) انظر: أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص (ص٧٠).

٣ – أن السورة مكية عند جمهور العلماء[١]، والشرك كان واسعـًا في الناس في ذلك الوقت، وهذا يوافق قول ابن عباس: إن ناسـًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا،... الحديث[٢].

٤ –ما قرر سابقـًا أيضـًا أن الأثر الذي بصدد دراسته يقوي الصيغة التي قيلت بها في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، حيث إن الصيغة التي في الأثر – محور الدراسة – فيه "ثم نزلت".

يقول الدكتور الرشيد: "وينبغي أن يلحق بهذه الصيغة قولهم، حدث كذا ثم نزل، لأنها بمعنىٰ: حدث كذا فنزل، لإفادة "ثم" معنىٰ التعقيب"[٣].

الوقفة الخامسة: النتيجة.

ما ذكرت سابقـًا من أن الرواية التي جاء فيها: "فما رأيت النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – فرح بشيء فرحه بها لم تثبت ولا يصح الاستدلال بها، فعليه: يقال: إنه لم يثبت أن النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – فرح بنزول هذه الآية، والله تعالىٰ أعلم.

*　　*　　*

---

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٧٤).

(٢) انظر: المحرر في أسباب نزول القرآن (٢/ ٧٦٣).

(٣) انظر: أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص (ص٧٢).

المبحث السادس

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة الأحزاب].

قال السيوطي: "وأخرج ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيىٰ بن حيان – رضي الله عنه – قال جاء رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – بيت زيد بن حارثة يطلبه وكان زيد إنما يقال له زيد ابن محمد، فربما فقده رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – فيجيء لبيت زيد بن حارثة يطلبه فلم يجده وتقوم إليه زينب بنت جحش زوجته فأعرض رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – عنها فقالت: ليس هو ههنا يا رسول الله فادخل، فأبىٰ أن يدخل، فأعجب رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – قولي، وهو يهمهم[1] بشيء لا يكاد يفهم منه إلا ربما أعلن سبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب، فجاء زيد – رضي الله عنه – إلىٰ منزله فأخبرته امرأته أن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – أتىٰ منزله فقال زيد رضي الله عنه: ألَا قلتِ له أن يدخل؟ قالت: قد عرضت ذلك عليه فأبىٰ، قال: فسمعت شيئًا، قالت: سمعته حين ولىٰ تكلم بكلام ولا أفهمه وسمعته يقول: سبحان الله سبحان مصرف القلوب فجاء زيد – رضي الله عنه – حتىٰ أتىٰ رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله بلغني أنك جئت منزلي فهلّا دخلت يا رسول الله لعل زينب أعجبتك فأفارقها فيقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ فما استطاع زيد إليها سبيلاً بعد ذلك اليوم فيأتي لرسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – فيخبره فيقول: ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾، ففارقها زيد واعتزلها وانقضت عدتها فبينا رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – جالس يتحدث مع عائشة – رضي الله عنها – إذ أخذته غشية فسرىٰ عنه، وهو يبتسم، ويقول: من يذهب إلىٰ زينب فيبشرها أن الله زوجنيها من

(١) يهمهم: أي كلامًا خفيًا لا يفهم. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٩١٤).

السماء، وتلا رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم –: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ القصة كلها قالت عائشة رضي الله عنها: فأخذني ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها، وأخرىٰ هي أعظم الأمور وأشرفها زوجها الله من السماء وقلت: هي تفخر علينا بهذا"[1].

الدراسة:

في هذه الآية الكريمة عدة وقفات:

الوقفة الأولىٰ: مناسبة الآية لما قبلها.

ذكر البقاعي في مناسبة الآية ما يلي: "لما كان الله سبحانه أخبر نبيه – صلىٰ الله عليه وسلم – أن زينب رضي الله عنها ستكون من أزواجه، وأن زيداً سيطلقها، وأخفىٰ في نفسه ذلك تكرمًا وخشية من قالة الناس أنه يريد نكاح زوجة ابنه، أو كان في إظهار ذلك أعلام من أعلام النبوة، وكان مبنىٰ أمر الرسالة علىٰ إبلاغ الناس ما أعلم الله به أحبوه أو كرهوه، وأن لا يراعي غيره، ولا يلتفت إلىٰ سواه وإن كان في ذلك خوف من ذهاب النفس، فإنه كاف بعزته ومتقن من أرد بحكمته، كما أخذ الله الميثاق به من النبيين كلهم فكان من المعلوم أن التقدير: اذكر ما أخذنا منك ومن النبيين من الميثاق علىٰ إبلاغ كل شيء أخبرناكم به، ولم ننهكم من إفشائه عطف عليه: "وإذ تقول" وذلك لأن الأكمل أن يعاتب علىٰ بعض الكمالات لعلو درجته عنها وتحليه بأكمل منها"[2].

الوقفة الثانية: سبب نزول الآية.

ورد في سبب نزول الآية الكريمة ما يلي:

أولاً: ما ذكر آنفًا، وهو ما ذكره السيوطي، وقد أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ (٨/ ٨٢) رقم (٤١٣٢)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٣٠) رقم (٦٨٤٥).

ثانيًا: عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن هذه الآية: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ

(١) انظر: الدر المنثور (٦/ ٥٤٠).

(٢) انظر: نظم الدرر (٦/ ١٠٨) بتصرف.

مُبْدِيهِ ﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة"[١].

إذاً من مجمل السببين يتبين أن الآية الكريمة نزلت في شأن ما جرىٰ بين زيد بن حارثة وزينب بنت جحش رضي الله عنهما".

قال ابن حجر في فتح الباري: "لم تختلف الروايات أنها نزلت في قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش"[٢].

الوقفة الثالثة: للقصاص في هذه الآية الكريمة كلام لا ينبغي أن يجعل في خبر القبول والاعتبار.

قال ابن كثير: "ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثار عن بعض السلف رضي الله عنهم، أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها، فلا نوردها"[٣].

وقال ابن عاشور: "وقد رويت في هذه القصة أخبار مخلوطة، فإياك أن تتسرب إلىٰ نفسك منها أغلوطة فلا تصغِ ذهنك إلىٰ ما ألصقه أهل القصص بهذه الآية من تبسيط في حال النبي صلىٰ الله عليه وسلم حين أمر زيداً بإمساك زوجه، فإن ذلك من مختلقات القصاصين، فإما أن يكون ذلك اختلافاً من القصاص لتزيين القصة، وإما أن يكون كله أو بعضه من أراجيف المنافقين وبهتانهم فتلقفه القصاص وهو الذي نجزم به"[٤].

وقد انبرىٰ للرد علىٰ هذه الترهات والإسفاف في مقام النبوة خلق عظيم من العلماء، منهم أبو بكر ابن العربي، في كتابه "أحكام القرآن"[٥]، والقاضي عياض في كتابه "الشفا"[٦].

الوقفة الرابعة: في قوله تعالىٰ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾.

قال بعض المفسرين: إن قوله: "وتخفي" الإيتاء بالفعل المضارع في قوله:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: "وتخفي في نفسك ما الله مبديه"، حديث (٤٧٨٧) (ص٨٤١).

(٢) انظر: (٨/ ٣٨٣).

(٣) انظر: تفسيره (٦/ ١٩٧).

(٤) انظر: تفسيره (٢١/ ٢٦٤).

(٥) انظر: (ص٤٣٥).

(٦) انظر: (٢/ ٧٨٧).

"وتخفي" للدلالة علىٰ تكرر إخفاء ذلك، وعدم ذكره، والذي في نفسه علمه بأنه سيتزوج زينب، وأن زيد يطلقها، وذلك سر بينه وبين ربه ليس مما يوجب عليه تبليغه.

قال القرطبي: "قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين كالزهري، والقاضي بكر ابن العلاء القشيري، والقاضي أبي بكر ابن العربي، وغيرهم"[(١)].

وقال ابن القيم في كتابه الماتع "بدائع التفسير": "وأخفىٰ في نفسه أن يتزوجها إن طلقها زيد، وكان يخشىٰ من قالة الناس: أنه تزوج امرأة ابنه؛ لأن زيداً كان يدعىٰ ابنه، فهذا الذي أخفاه في نفسه، وهذه الخشية من الناس التي وقعت له، ولهذا ذكر سبحانه وتعالىٰ هذه الآية يعدد فيها نعمه عليه، لا يعاتبه فيها، وأعلمه أنه لا ينبغي له أن يخشىٰ الناس فيما أحل الله له، وأن الله أحق أن يخشاه فلا يتحرج مما أحل له لأجل قول الناس"[(٢)].

الوقفة الخامسة: النتيجة.

ما ذكره السيوطي في الرواية التي ذكرها: "فسري عنه، وهو يبتسم، ويقول: من يذهب إلىٰ زينب فيبشرها..." تدل علىٰ فرح النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – بنزول هذه الآية، وعندنا في السياق "وهو يبتسم، فيبشرها"، فابتسامته – صلىٰ الله عليه وسلم – وقوله "فيبشرها" جاءت في دحض ما بناه المنافقون علىٰ أساسه الباطل بناءً علىٰ كفر المنافقين الذين غمزوا مغامز في قضية تزوج رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة، فقالوا: تزوج حليلة ابنه، وقد نهىٰ عن تزوج حلائل الأبناء[(٣)].

* * *

(١) انظر: تفسيره (١٧/ ١٥٧)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢١/ ٢٦٢).
(٢) انظر: بدائع التفسير (٣/ ٤٢٦).
(٣) انظر: التحرير والتنوير (٢١/ ٢٥٩).

المبحث السابع

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾ [سورة الفتح].

قال السيوطي: "وأخرج ابن المنذر والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: قرأنا علىٰ عهد النبي صلىٰ الله عليه وسلم سنين ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ ﴾ ثم نزلت ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ الآية، فما رأيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم فرح بشيء قط فرحه بها وفرحه بـ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾ [سورة الفتح]"[(١)].

الدراسة:

في سياق سبب نزول قوله تعالىٰ: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠ ﴾ [سورة الفرقان] ذكر ابن عباس أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم فرح بنزول قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾.

في هذه الآية الكريمة عدة وقفات:

الوقفة الأولىٰ: سورة الفتح مدنية بالإجماع.

قال ابن عبدالكافي: "سورة الفتح مدنية في قولهم جميعاً بلا خلاف"[(٢)].

وقال القرطبي: "سورة الفتح مدنية بإجماع"[(٣)].

وقد ساق غير واحد من المفسرين اتفاقهم علىٰ أن سورة الفتح سورة مكية، كمقاتل في تفسيره[(٤)]، والسمرقندي[(٥)]، والماوردي[(٦)]، وغيرهم.

لكن الصحيح أن سورة الفتح مدنية علىٰ المصطلح المشهور في أن المدني ما

---

(١) انظر: الدر المنثور (٦/ ٢٥٢)، وقد سبق تخريجه.

(٢) انظر: عدد سور القرآن (ص٤١٢).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٩٤).

(٤) انظر: تفسيره (٤/ ٦٣).

(٥) انظر: تفسيره (٣/ ٢٤٩).

(٦) انظر: النكت والعيون (٤/ ٥٦).

نزل بعد الهجرة ولو كان نزوله في مكان غير المدينة من أرضها أو من غيرها[١].

الوقفة الثانية: عدد آياتها، ومناسبتها لما قبلها.

أيضـًا من الأشياء المتفق عليها عند أهل العدد أن سورة الفتح: تسع وعشرون آية بلا خلاف بينهم.

قال أبو عمرو الداني: "وهي عشرون وتسع آيات في جميع العدد ليس فيها اختلاف"[٢].

وأما مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالىٰ لما قال في سورة محمد: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [آية: ٣٨]، وهي خطاب لكفار قريش أخبر رسوله بالفتح العظيم وأنه بهذا حصل الاستبدال وآمن كل من كان بها، وصارت مكة دار إيمان"[٣].

الوقفة الثالثة: سبب النزول.

السبب الأول: ما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما "أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم فرح بسورة الفتح كلام مختزل جداً، ويُبيِّن هذا الفرح ما جاء عند البخاري عن زيد ابن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: ثكلت[٤] أم عمر، نزرت[٥] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل في قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بي، فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجئت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال: " لقد أنزلت

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ١١٩).
(٢) انظر: البيان في عد آي القرآن (ص٢٢٩).
(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢٥).
(٤) ثكلت: أي فقدت. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٢١٤).
(٥) نزرت: أي ألححت عليه في المسألة إلحاحـًا أدبك بسكوته عن جوابك. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٧٢٩).

علي الليلة سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [سورة الفتح]"(١).

السبب الثاني: عن سهل بن حنيف، قال: "أيها الناس اتهموا أنفسكم، فإنا كنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوم الحديبية، ولو نرىٰ قتالا لقاتلنا، فجاء عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، ألسنا علىٰ الحق وهم علىٰ الباطل؟ فقال: «بلىٰ» . فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلىٰ» ، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدا» ، فانطلق عمر إلىٰ أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبدا، فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ عمر إلىٰ آخرها، فقال عمر: يا رسول الله، أوفتح هو؟ قال: «نعم»"(٢).

السبب الثالث: عن ابن عباس قال: "إن اليهود شَمِتوا بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩]، وقالوا: كيف نتبع رجلاً لا يدري ما يفعل به، فاشتد ذلك علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [سورة الفتح]"(٣).

السبب الرابع: عن عبدالرحمن بن أبي علقمة قال: "سمعت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: لما أقبلنا من الحديبية عرسنا، فنمنا فلم أستقيظ إلا والشمس قد طلعت فاستيقظنا ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نائم، قال: فقلنا أيقظوه، فاستيقظ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: افعلوا ما كنتم تفعلون، وكذلك يفعل من نام أو نسي، قال: وفقدنا ناقة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فطلبناها فوجدناها قد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب قوله: "إنا فتحنا لك فتحاً مبينا" حديث (٤٨٣٣) (ص٨٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة حديث (٣١٨٢) (ص٥٣٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، حديث (١٧٨٥) (ص٧٩٦).

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص٣٨٢).

تعلق خطامها بشجرة فأتيته بها فركبها فبينا نحن نسير إذ أتاه الوحي، قال: وكان إذا أتاه الوحي اشتد عليه، فلما سري عنه أخبرنا أنه أنزل عليه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [سورة الفتح]"(١).

الوقفة الرابعة: ما النتيجة التي نتوصل إليها عقب ذكر التنزلات السابقة؟.

نخلص بعد أن ذكرنا ما جاء في سورة الفتح من نزول قرآني كريم أن سورة الفتح نزلت جميعها علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عشية رجوعه من الحديبية.

قال ابن عطية: "هذه السورة نزلت علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم منصرفه من الحديبية، وفي ذلك أحاديث كثيرة عن أنس وابن مسعود وغيرهما تقتضي صحته"(٢).

وقال القرطبي: "نزلت – يقصد سورة الفتح – ليلاً بين مكة والمدينة في شأن الحديبية، روىٰ محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلىٰ آخرها"(٣).

الوقفة الخامسة:

قوله صلىٰ الله عليه وسلم في الحديث: "لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس..." الحديث، يدل علىٰ فرحه – صلىٰ الله عليه وسلم – بنزول هذه السورة؛ لأن هذه السورة تضمنت بشارة المؤمنين بحسن عاقبة صلح الحديبية، وأنه نصر وفتح، فنزلت به السكينة في قلوب المسلمين، وأزال حزنهم من

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب من نام عن صلاة أو نسيها، حديث (٤٤٧) (ص٧٦)، وقال الألباني: "صحيح"، انظر: صحيح سنن أبي داود (١/ ١٣٢)، والنسائي في السنن الكبرىٰ (٥/ ٢٦٧) حديث (٨٨٥٣).

(٢) انظر: تفسيره (١٣/ ٤٢٧).

(٣) انظر: تفسيره (١٩/ ٢٩٤).

صدهم عن الاعتمار بالبيت، وكان المسلمون عدة لا تغلب من قلة فرأوا أنهم عادوا كالخائبين، فأعلمهم الله بأن العاقبة لهم، ولهذا قيل: أن فرح النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – بنزول السورة، وقوله: "لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس"؛ لما اشتملت عليه من قوله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴾ [الفتح: ٢][(١)].

* * *

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ١٢٠).

المبحث الثامن

قال تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ [سورة المجادلة].

قال السيوطي: "وأخرج ابن سعد عن عمران بن أنس قال: كان أول من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت وكان به لَـمَمٌ[1]، وكان يفيق أحيانا فلاحىٰ امرأته خولة بنت ثعلبة في بعض صَحَواتِه، فقال: أنت عليّ كظهر أمي، ثم ندم فقال: ما أراك إلا قد حرمت علي، قالت: ما ذكرت طلاقـًا، فأتت النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبرته بما قال، قال: وجادلت رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – مراراً، ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك شدّة وحدتي وما يشق علي من فراقه، قالت عائشة: فلقد بكيت، وبكىٰ من كان في البيت؛ رحمة لها ورِقَّة عليها، ونزل علىٰ رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – الوحي فسري عنه وهو يبتسم، فقال: يا خولة قد أنزل الله فيك وفيه ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ ثم قال: مريه أن يعتق رقبة قالت: لا يجد، قال: فمريه أن يصوم شهرين متتابعين، قالت: لا يطيق ذلك، قال: فمريه فليطعم ستين مسكينا، قالت: وأنىٰ له؟ فمريه فليأت أم المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطر وسق[2] تمر فليتصدق به علىٰ ستين مسكينـًا، فرجعت إلىٰ أوس، فقال: ما وراءك قالت: خير وأنت ذميم[3] ثم أخبرته، فأتىٰ أم المنذر فأخذ ذلك منها فجعل يطعم مُدّين[4] من تمر كل مسكين"[5].

---

(١) انظر : لَـمَمٌ: طرف من الجنون. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٦١٦) .

(٢) وسق: الوسق بالفتح ستون صاعـًا. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٨٤٩) .

(٣) ذميم: أي مذموم. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٦١٣) .

(٤) مدين: الـمُدُّ بالضم، ربع الصاع. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٦٤٣) .

(٥) انظر : الدر المنثور (٨/ ٧٢) .

الدراسة:

في الدراسة لما بين أيدينا من سبب نزول الآيات الكريمة عدة وقفات:

الوقفة الأولىٰ: مقدمة عن سورة المجادلة، وتشمل ما يلي:

١ – سورة المجادلة من السور المتفق علىٰ مدنيتها، قال ابن عبدالكافي: "سورة المجادلة مدنية في الأقاويل كلها"[١].

٢ –عدد آياتها إحدىٰ وعشرون آية في المدني الأخير والمكي، واثنتا وعشرون في عدد الباقين[٢].

٣ – أسماؤها: تسمىٰ سورة المجادلة، وهو الاسم المشتهر في كتب التفسير والمصاحف، وكتب السنة، وتسمىٰ: سورة "قد سمع"، قال ابن عاشور: "إن هذا الاسم هو الاسم المشتهر في الكتاتيب في تونس"[٣]، وتسمىٰ أيضـًا سورة الظهار، وذلك في مصحف أُبيّ، كما ذكر ذلك السيوطي[٤]، وغيره[٥].

٤ – مناسبة السورة لما قبلها: لما ذكر سبحانه في مطلع سورة الحديد صفاته الجليلة ومنها الظاهر والباطن وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ الآية [الحديد: ٤]، افتتح هذه بذكر أنه سمع قول المجادلة التي شكت إليه صلىٰ الله عليه وسلم"[٦].

الوقفة الثانية: سبب نزول الآية.

ورد في سبب نزول الآية عدة أسباب منها:

الأول: ما ذكره السيوطي، وقال: "أخرج ابن سعد عن عمران"، وهو محور الدراسة[٧].

---

(١) انظر: عدد سور القرآن (ص٤٤١).

(٢) انظر: البيان في عد آي القرآن (ص٢٤٢).

(٣) انظر: تفسيره (٢٨/ ٦).

(٤) انظر: الإتقان (١/ ١٧٤).

(٥) انظر: أسماء سور القرآن وفضائلها للدكتورة: منيرة الدوسري (ص٤٢٧).

(٦) انظر: تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي (ص١٢٢).

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٢٦٥) (١١٦٨٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٧): "فيه أبو حمزة الثمالي، وهو ضعيف".

الثاني: عن عروة قال: قالت عائشة: "تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفىٰ علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتىٰ إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك فما برحت حتىٰ نزل جبريل بهؤلاء الآيات ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ ... الآيات"(١).

الوقفة الثالثة: ما المقدم في سبب نزول الآيات الكريمة.

مجموع الروايات التي ذكرها المفسرون تدل علىٰ وقوع حادثة ظهار علىٰ أثرها نزل القرآن الكريم.

قال الطبري: "وكانت مجادلتها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في زوجها، مراجعتها إياه في أمره وما كان من قوله لها أنت علي كظهر أمي، ومحاورتها إياه في ذلك، وبذلك قال أهل التأويل وتظاهرت به الرواية"(٢).

وقال ابن عاشور: "لما ذكر الروايات في ذلك: وتلك هي قضية سبب النزول"(٣).

الوقفة الرابعة: اختلف المفسرون في المرأة التي اشتكت للرسول صلىٰ الله عليه وسلم.

فقيل: التي اشتكت هي: خولة بنت ثعلبة، وقيل: خويلة بنت ثعلبة، وقيل: خويلة بنت الدليح، وقيل: بنت حكيم، وقيل: بنت خويلد، قال الماوردي(٤): "وليس "وليس هذا بمختلف؛ لأن أحدهما: أبوها، والآخر: جدها، فنسبت إلىٰ كل منهما، قيل: كانت أمة، وقيل: هي ابنة صامت، وقيل: أمه لعبدالله بن أبي، وهي التي أنزل الله فيها: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [النور: ٢٢]، وقيل: هي ابنة

---

(١) الحديث أخرجه أحمد (٦/ ٤٦)، والبخاري تعليقـًا في صحيحه، كتاب التوحيد باب قول الله: "وكان الله سميعـًا بصيرا"، (ص١٢٧١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٣) (٣٧٩)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(٢) انظر: تفسيره (٢٢/ ٤٤٦).

(٣) انظر: تفسيره (٢٨/ ١٧).

(٤) انظر: النكت والعيون (٥/ ٤٨٧).

حكيم، قال النحاس[١]: وهذا ليس بمتناقض، يجوز مرة أن تنسب إلىٰ أبيها، ومرة إلىٰ أمها ومرة إلىٰ جدها، ويجوز أن تكون أمة كانت لعبدالله بن أبي، فقيل: لها أنصارية بالولادة، لأنه كان في عداد الأنصاريين، وأنه كان من المنافقين، وقيل: اسمها جميلة، وخولة أصح، وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت"[٢].

الوقفة الخامسة: النتيجة.

الأثر الذي نحن بصدد الاستدلال به علىٰ فرح النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – أثر ضعيف كما سبق بيانه في موضعه، فعلىٰ هذا لا يصلح للاستدلال به هنا، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

(١) ذكره عنه القرطبي (٢٠/ ٢٨٤).

(٢) انظر: الطبري (٢٢/ ٤٤٦)، والقرطبي (٢٠/ ٢٨٤)، وابن عادل الحنبلي في اللباب (١٨/ ٥١٤).

المبحث التاسع

قال تعالىٰ: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٢٩) ﴾ [سورة التكوير].

قال السيوطي: "وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾ قالوا: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فهبط جبريل على رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال: كذبوا يا محمد ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ففرح بذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم"[(1)].

الدراسة:

في سبب النزول عدة وقفات:

الوقفة الأولىٰ: مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر سبحانه أن القرآن الكريم ذكر للعالمين، كان ذكر ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾، من بقية العالمين آنفاً بحكم قياس المساواة، ففي الكلام كناية عن ذلك، وفائدة هذا الإبدال التنبيه علىٰ أن الذين تذكروا بالقرآن، وهم المسلمون قد شاءوا الاستقامة لأنفسهم، فنصحوا أنفسهم، وهو ثناء عليهم[(2)].

الوقفة الثانية: سببه مقولة: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم.

وذلك أن الله عز وجل لما قال: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ (٢٨) ﴾ وهو بدل من العالمين في قوله: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ (٢٧) ﴾ [سورة التكوير]، والتقدير: إن هو إلا ذكر لمن شاء منكم أن يستقيم، وفائدة هذا الإبدال أن الذين شاؤوا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر، فكأنه لم يوعظ به غيرهم، والمعنىٰ أن القرآن إنما ينتفع به من شاء أن يستقيم، ثم بيّنَ أنّ مشيئة الاستقامة موقوفة علىٰ مشيئة الله فقال: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٢٩) ﴾، أي إلا أن يشاء الله تعالىٰ أن يعطيه تلك المشيئة؛ لأن فعل تلك المشيئة صفة محدثة فلا بد في حدوثها

(١) انظر: الدر المنثور (٨/ ٣٩٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ١٤٧).

من مشيئة أخرىٰ، فيظهر من مجموع هذه الآيات أن فعل الاستقامة موقوف علىٰ إرادة المشيئة، وهذه الإرادة موقوفة الحصول علىٰ أن يريد الله أن يعطيه تلك الإرادة والموقوف علىٰ الموقوف علىٰ الشيء موقوف علىٰ ذلك الشيء(١).

الوقفة الثالثة: دراسة سبب النزول.

الأثر أخرجه الطبري في تفسيره(٢)، وابن أبي حاتم – كما ذكر السيوطي ولم أقف عليه – والواحدي في أسباب النزول(٣)، وذكره أبو المظفر السمعاني(٤)، وابن عطية(٥)، وابن الجوزي(٦)، والرسعني(٧)، والقرطبي(٨)، وابن كثير(٩)، لكن إسناده قد قد تكلم فيه فقد ضعف لكونه مرسلاً، إضافة إلىٰ أني قد بحثت عنه ولم أقف عليه في جميع الكتب الصحيحة التي بين يدي(١٠).

الوقفة الرابعة: من القائل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا... إلخ كما في سبب النزول.

القائل هو أبو جهل، حيث ورد في بعض الروايات لسبب النزول أن أبا جهل قال: هذا أمر قد وكل إلينا، فإن شئنا استقمنا، وإن لم نشأ لم نستقم فنزلت(١١).

الوقفة الخامسة: النتيجة.

الأثر الذي بين أيدينا وهو محل الدراسة تكلم في إسناده، كما سبق آنفـًا، ولهذا لا يصلح الأثر للاستدلال بها هنا علىٰ فرح النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – والله أعلم.

* * *

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي (١١/ ٧١).
(٢) انظر: تفسيره (٢٤/ ١٧٢).
(٣) انظر: (ص٤٥١).
(٤) انظر: تفسيره (٦/ ١٧١).
(٥) انظر: تفسيره (١٥/ ٣٤٤).
(٦) انظر: تفسيره (٩/ ٤٤).
(٧) انظر: تفسيره (٨/ ٥١٥).
(٨) انظر: تفسيره (٢٢/ ١١٩).
(٩) انظر: تفسيره (٧/ ٥٠١).
(١٠) انظر: حاشية تفسير ابن عطية رقم (١) (١٥/ ٣٤٤)، وابن كثير (٣) (٧/ ٥٠١).
(١١) سبق تخريجه.

المبحث العاشر

قال تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾[سورة الشرح].

قال السيوطي: "وأخرج عبد الرزاق وابن جرير والحاكم والبيهقي عن الحسن قال: خرج النبي صلىٰ الله عليه وسلم يوما فرحا مسرورا وهو يضحك ويقول: لن يغلب عسر يسرين ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ قال: ذكر لنا أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بشر بهذه الآية أصحابه فقال: لن يغلب عسر يسرين.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ابشروا أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين"[1].

الدراسة:

في قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ [سورة الشرح] عدة وقفات:

الوقفة الأولىٰ: مناسبة الآية للآيتين قبلها.

وجه تعلق هاتين الآيتين بما قبلهما أن المشركين كانوا يعيرون رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بالفقر، ويقولون: إن كان غرضك هذا الذي تدعيه طلب الغنىٰ جمعنا لك مالاً حتىٰ تكون كأيسر أهل مكة، فشق ذلك علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ سبق إلىٰ وهمه أنهم إنما رغبوا عن الإسلام؛ لكونه فقيراً حقيراً عندهم، فعدد الله تعالىٰ عليه مننه في بداية السورة، ثم وعده بالغنىٰ في الدنيا، ليزيل عن قلبه ما حصل فيه من التأذي بسبب أنهم عيروه بالفقر، والدليل عليه دخول الفاء في قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ ﴾، كأنه تعالىٰ قال: لا يحزنك ما يقول وما أنت فيه من

---

(١) انظر: الدر المنثور (٨/ ٥٠٤).

القلة، فإنه يحصل في الدنيا يسر كامل[١].

الوقفة الثانية: سبب النزول.

جاء في سبب نزول الآيتين ما يلي:

أولاً: ما ذكره السيوطي، حيث قال: "وأخرج عبدالرزاق وابن جرير والحاكم والبيهقي عن الحسن، قال: ... إلخ".

ثانيـًا: ما ذكره السيوطي، حيث قال: "وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله... إلخ".

ثالثـًا: ما ذكره السيوطي، حيث قال: "وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه عن الحسن قال: ... إلخ".

رابعـًا: عن أنس بن مالك قال: "كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جالسـًا وحياله حجر، فقال: لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتىٰ يدخل عليه فيخرجه، فأنزل الله عز وجل: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾".

الوقفة الثالثة: دراسة أسباب النزول.

أما دراسة أسباب نزول الآيتين فأقول:

الأثر الأول: أخرجه عبدالرزاق في تفسيره[٢]، وأخرجه ابن جرير في تفسيره[٣]، والحاكم في المستدرك[٤]، وقال الحاكم: مرسل[٥].

وأخرجه أيضـًا البيهقي في شعب الإيمان[٦]، وقال محقق الكتاب[٧]: "إسناده فيه شيخ الحاكم لم أعرفه، والحديث مرسل"[٨]، وكذا قال ابن كثير بعد ذكره للأثر أنه

(١) انظر: التفسير الكبير (١١/ ٢٠٨).
(٢) انظر: (٢/ ٣٨٠).
(٣) انظر: (٢٤/ ٤٩٦).
(٤) انظر: (٢/ ٥٧٥) رقم (٣٩٥٠).
(٥) انظر: المصدر السابق.
(٦) (٢/ ٣٦١) رقم (٩٥٤١).
(٧) وهو مختار أحمد الندوي.
(٨) انظر: شعب الإيمان (١٢/ ٣٦١).

مرسل[1].

إذاً الأثر بهذا الإسناد مرسل، بل وضعيف، فقد ضعفه الألباني[2].

الأثر الثاني: أخرجه عبد بن حميد في تفسيره كما في التغليق[3]، وابن جرير في تفسيره[4]، إلا أن الأثر كسابقه مرسل، كذا قال الشوكاني في تفسيره[5].

الأثر الثالث: أخرجه عبد بن حميد ولم أجده فيما بين يدي من كتب لعبد بن حميد، وابن جرير في تفسيره[6]، وابن مردويه، وكذلك لم أجده فيما بين يدي من كتب له.

الأثر الرابع: وهو ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، فقد أخرجه البزار[7]، وابن أبي حاتم في تفسيره[8]، والطبراني في الأوسط[9]، والحاكم في المستدرك[10]، والبيهقي في شعب الإيمان[11].

وقد تكلم في إسناد الحديث: فقد قال الحاكم: "هذا حديث عجيب غير أن الشيخين لم يحتجا بعائذ بن شريح"[12].

وقال الهيثمي في المجمع: "رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه وفيه عائذ ابن شريح وهو ضعيف"[13].

فالحديث ضعيف، لضعف عائض بن شريح كما ذكر ذلك الأئمة آنفاً.

---

(١) انظر: تفسيره (٧/ ٥٩٨).
(٢) انظر: ضعيف الجامع الصغير رقم (٤٧٨٧).
(٣) انظر: (٤/ ٣٧٢).
(٤) انظر: (٢٤/ ٤٩٦).
(٥) (٥/ ٦٢٠).
(٦) انظر: (٢٤/ ٤٩٦).
(٧) انظر: كشف الأستار (٣/ ٨١) رقم (٢٢٨٨).
(٨) انظر: (١٠/ ٣٤٤٦).
(٩) انظر: (٢/ ١٤٥) رقم (١٥٢٥).
(١٠) انظر: (٢/ ٢٨٠) رقم (٣٠١٠).
(١١) انظر: (١٢/ ٣٦٠) رقم (٩٥٤٠).
(١٢) انظر: (٢/ ٢٨٠).
(١٣) انظر: (٧/ ١٤٢).

الوقفة الرابعة: النتيجة.

بعد دراسة أسباب النزول للآيتين الكريمتين تبين أن هذه الأسباب لا تصلح للاستدلال والله أعلم؛ ولهذا لا يثبت ما جاء في الرواية أن النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – خرج يوماً فرحاً مسروراً.

الوقفة الخامسة: مسألة تقرير معنىٰ لن يغلب عسر يسرين.

في هذا المعنىٰ وجهان:

الوجه الأول: أن ذلك مستفاد من تعريف كلمة العسر، وإعادتها معرفة، وليس هناك معهود سابق فينصرف إلىٰ الحقيقة فيكون المراد بالعسر في اللفظين شيئاً واحداً، وأما اليسر، فإنه مذكور علىٰ سبيل التنكير، وإعادته أيضاً منكراً، فكان أحدهما غير الآخر، وذلك أن من عادة العرب إذا ذكروا اسماً معرفاً ثم كرره فهو هو، وإذا أنكروه فهو غيره وهما اثنان، ليكون أقوىٰ للأمل وأبعث علىٰ الصبر.

وقد زيف هذا الوجه الجرجاني وابن عاشور.

قال الجرجاني: "هذا قول مدخول لأنه يجب علىٰ هذا التدريج إذا قال الرجل: إن مع الفارس سيفاً إن مع الفارس سيفاً، أن يكون الفارس واحداً والسيف اثنان، ومعلوم أن ذلك غير لازم من وضع العربية"[(١)].

وقال ابن عاشور: "وبناء علىٰ كلامهم علىٰ قاعدة إعادة النكرة معرفة خطأ؛ لأن تلك القاعدة في إعادة النكرة معرفة لا في إعادة المعرفة معرفة، وهي خاصة بالتعريف بلام العهد، دون لام الجنس، وهي ايضاً في إعادة اللفظ في جملة أخرىٰ، والذي في الآية ليس بإعادة لفظ في كلام ثان، بل هي تكرير للجملة الأولىٰ، فلا ينبغي الالتفات إلىٰ هذا المأخذ"[(٢)].

الوجه الثاني: أن تكون الجملة الثانية تأكيداً للجملة الأولىٰ، ومن المقرر أن المقصود من تأكيد الجملة في مثله هو تأكيد الحكم الذي تضمنه الخبر، ولا شك أن الحكم المستفاد من هذه الجملة هو بثبوت التحاق اليسر بالعسر عند حصوله، فكان

(١) انظر: تفسير الرازي (١١/ ٢٠٩)، والقرطبي (٢٢/ ٣٥٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٦٦).

التأكيد مفيداً ترجيح أثر اليسر علىٰ أثر العسر، وذلك الترجيح عبر عنه بصيغة التثنية في قوله: "يسرين" فالتثنية هنا كناية رمزية عن التغلب والرجحان، فإن التثنية قد يكنىٰ بها عن التكرير المراد منه التكثير، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾ [سورة الملك]، أي ارجع البصر كثيراً؛ لأن البصر لا ينقلب حسيراً من رجعتين، ومن ذلك قول العرب: لبيك وسعديك ودواليك، والتكرير يستلزم قوة الشيء المكرر فكانت القوة لازِمَ لازِمَ التثنية، وإذا تعددت اللوازم كانت الكناية رمزية وليس ذلك مستفاد من تعريف "العسر" باللام، ولا من تنكير "اليسر" وإعادته منكراً[1].

* * *

(١) انظر: المصدر السابق.

المبحث الحادي عشر

قال تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾ [سورة التين].

قال السيوطي: "أخرج الخطيب وابن عساكر بسند فيه مجهول عن الزهري عن أنس قال: لما نزلت سورة ﴿ وَٱلتِّينِ ﴾ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بها فرحا شديدا حتى تبين لنا شدة فرحه فسألنا ابن عباس عن تفسيرها فقال: التين بلاد الشام والزيتون بلاد فلسطين ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ ﴾ الذي كلم الله موسى عليه ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾ مكة ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ ﴾ عبدة اللات والعزى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ ﴾ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ ﴾ إذا بعثك فيهم نبيا وجمعك على التقوى يا محمد"[١].

الدراسة:

في دراسة سورة التين عدة وقفات:

الوقفة الأولى: مقدمات عن سورة التين، وهي كالتالي:

الأولى: نزول سورة التين:

سورة التين مكية عند جمهور المفسرين[٢]، وقد نسب إلى ابن عباس وقتادة أنها مدنية[٣]، قال ابن عبدالكافي: "مكية في قولهم جميعـًا"[٤].

الثانية: عدد آياتها: هي ثمان آيات من غير خلاف[٥].

(١) انظر: الدر المنثور (٨/ ٥٠٨).

(٢) انظر: المكي والمدني من السور والآيات، د.محمد الفالح (ص٥٦٢).

(٣) انظر: النكت والعيون (٤/ ٤٧٨).

(٤) انظر: عدد سور القرآن (ص٥١٤).

(٥) انظر: المصدر السابق.

قال أبو عمرو الداني: "وهي ثماني آيات في جميع العدد ليس فيه اختلاف[1].

الثالثة: سميت في معظم كتب التفسير ومعظم المصاحف سورة "والتين"، بإثبات الواو تسمية بأول كلمة فيها، وسماها بعض المفسرين سورة "التين"، بدون واو، لأن فيها لفظ "التين"، وبذلك عنون لها الترمذي في جامعه[2].

وتسمىٰ أيضاً: بسورة "التين والزيتون"، وكذلك تسمىٰ سورة "الزيتون"[3].

الرابعة: مناسبة السورة لما قبلها:

لما ذكر في سورة "ألم نشرح" ما شرح الله به صدر النبي صلىٰ الله عليه وسلم وعن خلاصه من الوزر الذي ينشأ من النفس والهوىٰ، وعن رفع الذكر حيث نزه مقامه عن كل موهم؛ فلما كانت هذه السورة في هذا العلم الفرد من الإنسان أعقبها بسورة مشتملة علىٰ بقية الأناسي وذكر ما خامرهم في متابعة النفس والهوىٰ[4].

الوقفة الثانية: دراسة سبب النزول، والنتيجة.

الأثر أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، وقال: "هذا الحديث بهذا الإسناد باطل، لا أصل له يصح فيما نعلم"[5]، وكذا أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق[6].

وقد ذكر السيوطي أن الأثر في سنده مجهول.

فعلىٰ هذا فلا يصلح أن يكون هذا الأثر موضعاً للاستشهاد به علىٰ فرح النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – والله أعلم.

* * *

(١) انظر: البيان في عد آي القرآن (ص٢٧٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٠)، وجامع الترمذي (ص٧٦٥).

(٣) انظر: أسماء سور القرآن (ص٥٦٤).

(٤) انظر: تناسق الدرر في تناسب السور (ص١٤٠).

(٥) انظر: (٢/ ٩٦).

(٦) انظر: (١/ ٢١٤).

المبحث الثاني عشر

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [سورة الكوثر].

قال السيوطي: "وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه عن أنس بن مالك قال: أغفىٰ[١] رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – إغفاءة فرفع رأسه متبسما فقال: إنه نزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ حتىٰ ختمها قال: هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: هو نهر أعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير ترده أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدث بعدك"[٢].

الدراسة:

في دراسة سبب نزول سورة الكوثر عدة وقفات:

الوقفة الأولىٰ: مقدمات عن سورة الكوثر، وتشمل ما يلي:

أولاً: نزول سورة الكوثر، قال جمهور المفسرين إنها مكية[٣]، وقيل: إنها مدنية[٤].

إلا أن الراجح في ذلك أنها مدنية، وذلك لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه، الذي نحن بصدد عرضه ودراسته[٥].

ثانيًا: عدد آياتها: ثلاث آيات بلا خلاف[٦].

---

(١) أغفىٰ: يقال: أغفىٰ إغفاءً إذا نام. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٣١٤).

(٢) انظر: الدر المنثور (٨/ ٥٨٩).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٤/ ٨٧٧)، بحر العلوم (٣/ ٥١٩)، وتفسير أبي مظفر السمعاني (٦/ ٩٠)، وغيرهم.

(٤) ينسب إلىٰ الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد، انظر: النكت والعيون (٤/ ٥٣١)، الجامع لأحكام القرآن القرآن (٢٢/ ٥١٩).

(٥) انظر: المكي والمدني، د.محمد الفالح (ص٦٢٣)، وممن رجح هذا ابن كثير في تفسيره (٧/ ٦٦٨)، والسيوطي في الإتقان (١/ ١٥)، وابن عاشور في تفسيره (٣٠/ ٥٠٢).

(٦) انظر: عدد سور القرآن (ص٥٣٥)، وحسن المدد في معرفة العدد للجعبري (ص٥٣٨).

ثالثـًا: أسماؤها: تسمىٰ سورة "الكوثر"، وبذلك دونت في المصاحف وكتب التفسير[1]، وعنون لها الترمذي في جامعه[2]، وتسمىٰ أيضـًا سورة "إنا أعطيناك الكوثر، وسورة النحر"[3].

رابعـًا: مناسبة السورة لما قبلها.

سورة الكوثر كالمقابلة للسور المتقدمة؛ وذلك لأن في السورة المتقدمة وصف الله تعالىٰ المنافق بأمور أربعة: أولها البخل، وهو المراد بقوله: ﴿يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣﴾ [سورة الماعون]، الثاني: ترك الصلاة، وهو المراد بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [سورة الماعون]، الثالث: المراءاة في الصلاة، وهو المراد من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [سورة الماعون]، الرابع: المنع من الزكاة، وهو المراد من قوله: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾ [سورة الماعون]، فذكر في هذه السورة في مقابلة تلك الصفات الأربع صفات أربعة، فذكر في مقابلة البخل: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾، وذكر في مقابلة الذين هم عن صلاتهم ساهون، قوله: ﴿فَصَلِّ﴾، أي دم علىٰ الصلاة، وذكر في مقابلة الذين هم يراءون قوله: ﴿لِرَبِّكَ﴾، أي أنت بالصلاة لرضا ربك لا لمراءاة الناس، وذكر في مقابلة ويمنعون الماعون، قوله: ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾، والمراد به التصدق بلحم الأضاحي، فاعتبر هذه المناسبة العجيبة[4].

الوقفة الثانية: سبب نزول السورة.

جاء في سبب نزول السورة الكريمة ما يلي:

أولاً: سبب النزول الذي ذكره السيوطي وهو محل الدراسة.

ثانيـًا: عن يوسف بن سعد، قال: "قام رجل إلىٰ الحسن بن علي بعدما بايع معاوية، فقال: سودت وجوه المؤمنين، أو يا مسود وجوه المؤمنين، فقال: لا تؤنبني

(١) انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٠١).
(٢) انظر: كتاب التفسير، باب ومن سورة الكوثر (ص٧٦٧).
(٣) انظر: أسماء سور القرآن (ص٦٠٩).
(٤) انظر: التفسير الكبير (١١/ ٣٠٧).

– رحمك الله – فإن النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – أري بني أمية علىٰ منبره فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ يا محمد، يعني نهراً في الجنة، ونزلت: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾ [سورة القدر]، يملكها بعد بنو أمية يا محمد، قال القاسم: فعددناها فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص.

ثالثاً: عن محمد بن علي، قال: "كان القاسم بن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – قد بلغ أن يركب الدابة ويسير علىٰ النجيب، فلما قبضه الله عز وجل، قال عمرو بن العاص: لقد أصبح محمد أبتر من ابنه، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ عوضاً يا محمد من نصيبك بالقاسم، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾".

رابعاً: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "نزلت في العاص بن وائل؛ وذلك أنه رأىٰ رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – يخرج من المسجد، وهو يدخل، فالتقيا عند باب بني سهم، وتحدثا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس، فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ قال: ذاك الأبتر – يعني النبي صلىٰ الله عليه وسلم – وكان قد توفي قبل ذلك عبدالله ابن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – ، وكان من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن: أبتر، فأنزل الله هذه السورة".

خامساً: عن أبي أيوب الأنصاري قال: "لما مات إبراهيم ابن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – قالت اليهود: قد بتر محمد، فأنزل الله عز وجل السورة".

الوقفة الثالثة: دراسة أسباب النزول.

بعد عرض ما ورد من أسباب النزول في سورة الكوثر ندلف إلىٰ دراسة تلك الأسباب، للوقوف علىٰ ما يصح منها، فيقدم وما لا يصح منها فيبعد، وهي كالتالي:

أولاً: ما ورد عند السيوطي حيث قال: وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد... إلخ، فالحديث قد أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة، سوىٰ براءة حديث (٤٠٠) (ص١٧٠)، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة، باب من لم ير الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، حديث (٧٨٤) (ص١٢٢)، والنسائي في سننه، كتاب الصلاة، باب قراءة بسم الله

الـرحمن الـرحيم، حـديث (٩٠٥) (ص١٢٥)، وأحمـد في مسـنده (٥/ ٣٠١)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٢/ ٦٣) رقم (٢٣٧٩)، والسنن الصغرىٰ (١/ ١٥٠ رقم (٣٨٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٥) رقـم (٣١٦٥٥)، وابـن جرير في تفسيره (٢٤/ ٦٨٨).

ثانيـًا: دراسة الأثر الثاني، وهو ما روي عن يوسف بن سعد، وهذا الأثـر أخرجه الترمـذي في جامعـه، أبـواب تفسير القـرآن، بـاب ومـن سـورة ليلـة القـدر، حـديث (٣٣٥٠) (ص٧٦٥)، والحـاكم في مسـتدركه (٣/ ١٧٠)، وقـال الترمـذي: "هـذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه... ويوسف بن سعد رجل مجهول"، وقال ابـن كثيـر: "قـال شـيخنا الإمـام الحـافظ الحجـة أبـو الحجـاج المـزي: هـو حـديث منكر"[١]، وقال الألباني: "ضعيف الإسناد مضطرب ومتنه منكر"[٢].

ثالثـًا: دراسة الأثر الثالث، وهو ما روي عن محمد بن علي أنها نزلـت في عمـرو ابن العاص، وهذا الأثر أخرجه البيهقي في دلائل النبـوة (٢/ ٧٠)، وقـال: "كـذا روي بهذا الإسناد وهو ضعيف، والمشهور في أبيه".

رابعـًا: دراسة الأثر الرابع، وهو ما روي عن ابن عباس أنها نزلت في العـاص بـن وائل السـهمي، وهـذا الأثـر أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٦٩٧)، والواحدي في أسباب النـزول (ص٤٠٤)، ومحمـد بـن إسـحاق في السير (ص٢٧٣)، والبيهقـي في دلائل النبوة (٢/ ٧٠)، إلا أن هذا الأثر سنده ضعيف، فهو من طريق العوفي عـن ابـن عباس[٣].

خامسـًا: دراسة الأثر الخامس، وهو مـا روي عـن أبـي أيـوب الأنصـاري رضـي الله عنـه، وهـذا الأثـر أورده ابـن كثيـر في تاريخـه (٥/ ٢٦٧)، وعـزاه ابـن عسـاكر في تهذيب تاريخ دمشق (١/ ٢٩٤) للزبير بـن بكـار، وفي سـنده فـرات بـن السـائب، قـال البخاري: "تركوه، منكر الحديث"[٤].

---

(١) انظر: تفسيره (٧/ ٦٠٨).

(٢) انظر: ضعيف جامع الترمذي (ص٣٩٠).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٦٧٤) حاشية رقم (٦).

(٤) انظر: نهاية السول فيما استدرك علىٰ الواحدي والسيوطي من أسباب النزول للدكتور/ نادىٰ بن =

الوقفة الرابعة: الموقف من أسباب النزول.

وبعد دراسة ما ورد من أسباب نزول السورة تبين أن كل ما ورد من آثار في أسباب نزول السورة فلا يخلو من كلام حول سندها ومتنها، إلّا ما ورد عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -، الذي عرضنا دراسته في الأثر الأول فهو صحيح كما سبق بيان ذلك.

الوقفة الخامسة: النتيجة.

بعد دراسة أسباب النزول لسورة الكوثر تبين صحية فرح النبي – صلىٰ الله عليــــه وسلم – بنزول السورة، ويدل علىٰ ذلك قوله: "فرفع رأسه مبتسمًا"، قال ابن فارس: "بسم: الباء والسين والميم أصل واحد وهو إبداء مقدم الفم لمسرّة، وهو دون الضحك، يقال: بَسَم، يَبْسُم، وتبسم وابتسم"[(١)].

وكيف لا يفرح النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – بنزول هذه السورة التي اشتملت علىٰ بشارة له بأنه أعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة.

* * *

=

محمود الأزهري (ص٢٣٣).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٤٩)، مادة "بسم".

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات.

بعد البحث الشيق والماتع الذي عشت فيه مع كلام رب العالمين، ثم سيد المرسلين محمد ابن عبدالله – صلىٰ الله عليه وسلم – خلصت إلىٰ النتائج التالية:

أولاً: أن سياق سبب النزول كان له دور في تقديم وتأخير بعض أسباب النزول علىٰ بعض.

ثانيـًا: أن صيغة سبب النزول كانت قاطعة في كثير من أسباب النزول في تقديم بعض الروايات علىٰ بعض، كتقديم حديث ابن عباس – رضي الله عنه – علىٰ غيره من الروايات في سبب نزول الآيات التالية (٦٨-٧٠) من سورة الفرقان.

ثالثـًا: بعد بحث في المصادر والمراجع حول الموضوع استخرجت منها أحد عشر موضعـًا يناسب بحثي.

رابعـًا: بعد التمحيص الدقيق والدراسة للمواضع والنظر في ثبوتها سنداً ومتنـًا تبين أن خمسة مواضع توافق البحث، وهي:

١ – سورة النور آية (٦).

٢ – سورة النور الآيات (١١-٢٠).

٣ – سورة الأحزاب آية (٣٧).

٤ – سورة الفتح آية (١).

٥ – سورة الكوثر.

وأن ستة مواضع لا تصلح للاستدلال بها في هذا البحث، وهي:

١ – سورة الحج آية (٥٢).

٢ – سورة الفرقان الآيات (٦٨-٧٠).

٣ – سورة المجادلة الآيات (١-٤).

٤ – سورة التكوير الآيتين (٢٨، ٢٩).

٥ – سورة الشرح الآيتين (٥، ٦).

٦ – سورة التين.

خامسـًا: أن أسباب النزول ما زالت بحاجة ماسة إلىٰ إعادة غربلة ودراسة متأنية.

وأما التوصيات:

فإني أقترح أن يقوم الباحثون بدراسة أسباب النزول التي قيل إنها نزلت بمكة أو المدينة أو في السفر، أو في الحضر، وهكذا.

بحيث كل باحث يأخذ موضوعًا مستقلاً ويدرسه دراسة دقيقة عبر منهجية محددة.

وفي الختام أسأل الله سبحانه أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

١ - الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تقديم وتعليق: د.مصطفىٰ ديب البغا، طبعة دار ابن كثير، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

٢ - أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص دراسة مقارنة بين أصول التفسير وأصول الفقه، د.عماد الدين محمد الرشيد، طبعة دار الشهاب، سنة ١٤٢٠هـ.

٣ - أسباب النزول، لعلي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عصام الحميدان، طبعة دار الذخائر، ١٤٢٠هـ.

٤ - أسماء سور القرآن وفضائلها، د.منيرة محمد الدوسري، طبعة دار ابن الجوزي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦هـ.

٥ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٦ - إعراب القرآن، لأحمد بن محمد النحاس، تحقيق: د.زهير زاهد، طبعة عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

٧ - أعلام النبوة، لعلي بن محمد الماوردي، طبعة دار الهلال، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

٨ - بحر العلوم، لنصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: د.محمودمطرجي، طبعة دار الفكر، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.

٩ - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأحمد بن محمد المهدي ابن عجيبة، تحقيق: عمر الراوي، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.

١٠ - البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، قدم له وعلق عليه: مصطفىٰ عبدالقادر عطا، طبعة دار الكتب العمية، ١٤٢٢هـ.

١١ - البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني، تحقيق: د.غانم قدوري الحمد، طبعة منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤هـ.

١٢ - تاريخ دمشق الكبير، لابن عساكر، تحقيق: علي الجنوبي، طبعة دار إحياء

التراث العربي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ.

١٣ - تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها من غير أهلها وواردیها، للخطيب البغدادي، تحقيق: د.بشار عواد معروف، طبعة دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

١٤ - التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، طبعة مؤسسة التأريخ العربي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.

١٥ - التفسير البسيط، لعلي بن أحمد الواحدي، تحقيق: مجموعة من أساتذة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٦ - تفسير القرآن العزيز، لمحمد بن عبدالله بن أبي زمنين، تحقيق: حسين بن عكاشة وآخر، طبعة الفاروق الحديثة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.

١٧ - تفسير القرآن العظيم مسند عن الرسول صلىٰ الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، لعبدالرحمن محمد بن أبي حاتم، تحقيق: أسعد الطيب، طبعة مكتبة نزار الباز، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.

١٨ - تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق: أ.د.حكمت بشير ياسين، طبعة دار ابن الجوزي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣١هـ.

١٩ - تفسير القرآن، لمنصور بن محمد التميمي السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم وآخرون، طبعة دار الوطن، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.

٢٠ - التفسير الكبير، للفخر الرازي، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ.

٢١ - تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: د.عبدالله محمود شحاته، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.

٢٢ - تناسق الدرر في تناسب السور، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالقادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.

٢٣ - تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهري، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ.

٢٤ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبدالله

التركي، طبعة دار عالم الكتب، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ.
٢٥ – جامع الترمذي، لأبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الترمذي، إشراف: معالي الشيخ صالح آل الشيخ، طبعة دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
٢٦ – الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د.عبدالله التركي، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٧هـ.
٢٧ – الجامع لشعب الإيمان، لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبدالعلي حامد، طبعة مكتبة الرشد، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.
٢٨ – حسن المدد في معرفة فن العدد، لبرهان الدين إبراهيم الجعبري، تحقيق: بشير الحميري، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣١هـ.
٢٩ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ.
٣٠ – الرسل والرسالات، لعمر بن سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، دار النفائس، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ.
٣١ – رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، لعبدالرزاق رزق الله الرسعني، تحقيق: د.عبدالملك بن دهيش، طبعة مكتبة الأسدي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩هـ.
٣٢ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني، لمحمود الألوسي، تحقيق: محمد الأمد وعمر السلامي، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.
٣٣ – زاد المسير في علم التفسير، عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.
٣٤ – سنن النسائي، لأحمد بن شعيب النسائي، إشراف: معالي الشيخ صالح آل الشيخ، طبعة دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
٣٥ – شرح الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ، للقاضي عياض، شرح علي القاري، طبعة دار النوادر، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٤هـ.
٣٦ – صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لعلي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب

الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٣٧ - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، إشراف: معالي الشيخ صالح آل الشيخ، طبعة دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

٣٨ - صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، إشراف: معالي الشيخ صالح آل الشيخ، طبعة دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

٣٩ - عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه وتلخيص مكيه من مدنيه، لأبي القاسم عمر بن محمد عبدالكافي، دراسة وتحقيق: د.خالد أبو الجود، طبعة مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣١هـ.

٤٠ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود العيني، طبعة مكتبة مصطفىٰ الحلبي، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٢هـ.

٤١ - العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: إبراهيم السامرائي وآخر، طبعة منشورات الأعلمي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

٤٢ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، طبعة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ.

٤٣ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د.عبدالرحمن عميرة، طبعة دار الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٤٤ - الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبدالقاهر بن طاهر الأسفراييني، طبعة دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

٤٥ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

٤٦ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمد بن عمرو الزمخشري، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ.

٤٧ - كشف الأستار عن زوائد البزار، للهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٩هـ.

٤٨ - الكشف والبيان = تفسير الثعلبي، لأحمد الثعلبي، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.
٤٩ - لباب النقول في أسباب النزول، لجلال الدين السيوطي، طبعة دار إحياء العلوم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.
٥٠ - اللباب في علوم الكتاب، لعمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرون، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ.
٥١ - لسان العرب، لابن منظور الأفريقي، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ.
٥٢ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: محمد عطا، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.
٥٣ - مجموع فتاوىٰ ورسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة دار الثريا، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.
٥٤ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي عبدالحق بن غالب بن عطية، تحقيق: عبدالله الأنصاري، والسيد عبدالعال إبراهيم، الطبعة الثانية.
٥٥ - المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، د.خالد بن سليمان المزيني، طبعة دار ابن الجوزي، الطبعة الأولىٰ، محرم، ١٤٢٧هـ.
٥٦ - المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، لعلي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: مصطفىٰ السقا وآخر، طبعة معهد المخطوطات لجامعة الدول العربية، الطبعة الأولىٰ، ١٣٧٧هـ.
٥٧ - المستدرك علىٰ الصحيحين، لمحمد بن عبدالله الحاكم، تحقيق: عبدالسلام علوش، طبعة دار المعرفة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.
٥٨ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
٥٩ - مسند البزار = البحر الزخار، لأحمد بن عمرو البزار، تحقيق: د.محفوظ زين الله، طبعة مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.
٦٠ - معالم التنزيل = تفسير البغوي، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد

النمر وآخرون، طبعة دار طيبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.

٦١ - المعجم الأوسط، لسليمان الطبراني، تحقيق: طارق عوض الله وآخرون، طبعة دار الحرمين، ١٤١٥هـ.

٦٢ - المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤هـ.

٦٣ - معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، طبعة دار الجيل، ١٤٢٠هـ.

٦٤ - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: أحمد السيد وآخرون، طبعة دار ابن كثير، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

٦٥ - المكي والمدني من السور والآيات من أول سورة الكهف إلىٰ آخر سورة الناس، د.محمد الفالح، طبعة دار التدمرية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٣هـ.

٦٦ - مناهل العرفان في علوم القرآن، بقلم محمد عبدالعظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، طبعة دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٦٧ - النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالعزيز الطويان، طبعة دار أضواء السلف، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.

٦٨ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

٦٩ - النكت والعيون = تفسير الماوردي، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تعليق: السيد بن عبدالمقصود، طبعة مؤسسة دار الكتب العلمية.

٧٠ - نهاية السول فيما استدرك علىٰ الواحدي والسيوطي من أسباب النزول، د.نادر محمود الأزهري، طبعة دار الصحابة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

❋ ❋ ❋